مجلة العلوم الإنسانية
بجامعة حائل

جامعة حائل
University of Ha'il

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

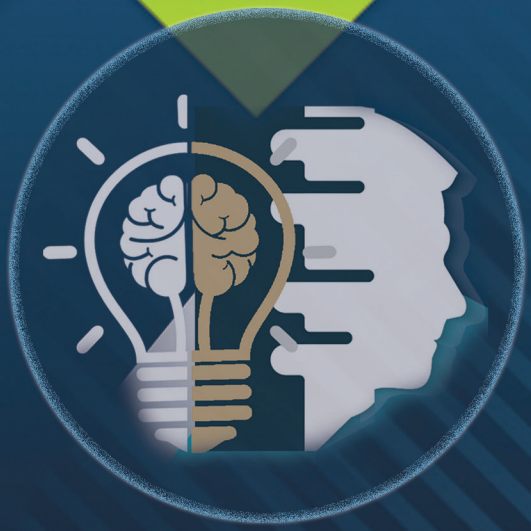

السنة التاسعة، العدد 29
المجلد الثالث، مارس 2026

Arcif Analytics

Print ISSN:1658-788X
Online E-ISSN:1658-8819

مجلة العلوم الإنسانية

دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة حائل

للتواصل:

مركز النشر العلمي والترجمة

جامعة حائل، صندوق بريد: 2440 الرمز البريدي: 81481

https://uohjh.com/

j.humanities@uoh.edu.sa

ردمد : إلكتروني E-1658-8819 ورقي 1658- 788X رقم الإيداع 14398368

نبذة عن المجلة

تعريف بالمجلة

مجلة العلوم الإنسانية، مجلة دورية علمية محكمة، تصدر عن وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة حائل كل ثلاثة أشهر بصفة دورية، حث تصدر أربة أعداد في كل سنة، وبحسب اكتمال البحوث المجازة للنشر.

وقد نجحت مجلة العلوم الإنسانية في تحقيق معايير اعتماد معامل التأثير والاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية معامل " آرسيف Arcif " المتوافقة مع المعايير العالمية، والتي يبلغ عددها (32) معياراً، وقد أطلق ذلك خلال التقرير السنوي الثامن للمجلات للعام 2023.

رؤية المجلة

التميز في النشر العلمي في العلوم الإنسانية وفقاً لمعايير مهنية عالمية.

رسالة المجلة

نشر البحوث العلمية في التخصصات الإنسانية؛ لخدمة البحث العلمي والمجتمع المحلي والدولي.

أهداف المجلة

تهدف المجلة إلى إيجاد منافذ رصينة؛ لنشر المعرفة العلمية المتخصصة في المجال الإنساني، وتمكن الباحثين –من مختلف بلدان العالم– من نشر أبحاثهم ودراساتهم وإنتاجهم الفكري لمعالجة واقع المشكلات الحياتية، وتأسيس الأطر النظرية والتطبيقية للمعارف الإنسانية في المجالات المتنوعة، وفق ضوابط وشروط ومواصفات علمية دقيقة، تحقيقا للجودة والريادة في نشر البحث العلمي.

قواعد النشر

لغة النشر

1- تقبل المجلة البحوث المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية.
2- يُكتب عنوان البحث وملخصه باللغة العربية للبحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
3- يُكتب عنوان البحث وملخصه ومراجعه باللغة الإنجليزية للبحوث المكتوبة باللغة العربية، على أن تكون ترجمة الملخص إلى اللغة الإنجليزية صحيحة ومتخصصة.

مجالات النشر في المجلة

تهتم مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل بنشر إسهامات الباحثين في مختلف القضايا الإنسانية الاجتماعية والأدبية، إضافة إلى نشر الدراسات والمقالات التي تتوفر فيها الأصول والمعايير العلمية المتعارف عليها دوليًّا، وتقبل الأبحاث المكتوبة باللغة العربية والإنجليزية في مجال اختصاصها، حيث تعنى المجلة بالتخصصات الآتية:

- علم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية والفلسفة الفكرية العلمية الدقيقة.
- المناهج وطرق التدريس والعلوم التربوية المختلفة.
- الدراسات الإسلامية والشريعة والقانون.
- الآداب: التاريخ والجغرافيا والفنون واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والسياحة والآثار.
- الإدارة والإعلام والاتصال وعلوم الرياضة والحركة.

أوعية نشر المجلة

تصـــدر المجلة ورقيًّا حســـب القواعد والأنظمة المعمول بها في المجلات العلمية المحكمة، كما تُنشـــر البحوث المقبولة بعد تحكيمها إلكترونيًّا لتعم المعرفة العلمية بشكل أوسع في جميع المؤسسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها.

ضوابط النشر في مجلة العلوم الإنسانية وإجراءاته

أولاً: شروط النشر

أولاً: شروط النشر

1. أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة المعرفية في التخصص.
2. لم يسبق للباحث نشر بحثه.
3. ألا يكون مستلّاً من رسالة علمية (ماجستير / دكتوراة) أو بحوث سبق نشرها للباحث.
4. أن يلتزم الباحث بالأمانة العلمية.
5. أن تراعى فيه منهجية البحث العلمي وقواعده.
6. عدم مخالفة البحث للضوابط والأحكام والآداب العامة في المملكة العربية السعودية.
7. مراعاة الأمانة العلمية وضوابط التوثيق في النقل والاقتباس.
8. السلامة اللغوية ووضوح الصور والرسومات والجداول إن وجدت، وللمجلة حقها في مراجعة التحرير والتدقيق النحوي.

ثانيًا: قواعد النشر

1. أن يشتمل البحث على: صفحة عنوان البحث، ومستخلص باللغتين العربية والإنجليزية، ومقدمة، وصلب البحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وثبت المصادر والمراجع باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، والملاحق اللازمة (إن وجدت).
2. فـــي حال (نشر البحث) يُزوَّد الباحث بنسخة إلكترونية من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه، ومستلاًّ لبحثه .
3. فـــي حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل– وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
4. لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة إلا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
5. الآراء الواردة فـــي البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين، ولا تعبر عن رأي مجلة العلوم الإنسانية.
6. النشر في المجلة يتطلب رسوما مالية قدرها (1000 ريال) يتم إيداعها في حساب المجلة، وذلك بعد إشعار الباحث بالقبول الأولي وهي غير مستردة سواء أجيز البحث للنشر أم تم رفضه من قبل المحكمين.

ثالثًا: توثيق البحث

أسلوب التوثيق المعتمد فـــي المجلة هو نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA7)

رابعا: خطوات وإجراءات التقديم

1. يقدم الباحث الرئيس طلبًا للنشر (من خلال منصة الباحثين بعد التسجيل فيها) يتعهد فيه بأن بحثه يتفق مع شروط المجلة، وذلك على النحو الآتي:

أ. البحث الذي تقدمت به لم يسبق نشرة (ورقيا أو إلكترونيا)، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في وجهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشرة في المجلة، أو الاعتذار للباحث لعدم قبول البحث.

ب. البحث الذي تقدمت به ليس مستلا من بحوث أو كتب سبق نشرها أو قدمت للنشر، وليس مستلاً من الرسائل العلمية للماجستير أو الدكتوراة.

ج. الالتزام بالأمانة العلمية وأخلاقيات البحث العلمي.

د. مراعاة منهج البحث العلمي وقواعده.

هـ. الالتزام بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل كما هو في دليل المؤلفين لكتابة البحوث المقدمة للنشر في مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل وفق نظام APA7

2. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة في صفحة واحدة حسب النموذج المعتمد للمجلة (نموذج السيرة الذاتية).
3. إرفاق نموذج المراجعة والتدقيق الأولي بعد تعبئته من قبل الباحث.
4. يرسل الباحث أربع نسخ من بحثه إلى المجلة إلكترونيّاً بصيغة (word) نسختين و (PDF) نسختين تكون إحداهما بالصيغتين خالية مما يدل على شخصية الباحث.
5. يتم التقديم إلكترونياً من خلال منصة تقديم الطلب الموجودة على موقع المجلة (منصة الباحثين) بعد التسجيل فيها مع إرفاق كافة المرفقات الواردة في خطوات وإجراءات التقديم أعلاه.
6. تقوم هيئة تحرير المجلة بالفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو الاعتذار عن قبوله أولياً أو بناء على تقارير المحكمين دون إبداء الأسباب وإخطار الباحث بذلك
7. تملك المجلة حق رفض البحث الأولي ما دام غير مكتمل أو غير ملتزم بالضوابط الفنية ومعايير كتابة البحث في مجلة حائل للعلوم الإنسانية.
8. في حال تقرر أهلية البحث للتحكيم يخطر الباحث بذلك، وعليه دفع الرسوم المالية المقررة للمجلة (1000) ريال غير مستردة من خلال الإيداع على حساب المجلة ورفع الإيصال من خلال منصة التقديم المتاحة على موقع المجلة، وذلك خلال مدة خمس أيام عمل منذ إخطار الباحث بقبول بحثه أوليًا وفي حالة عدم السداد خلال المدة المذكورة يعتبر القبول الأولي ملغي.
9. بعد دفع الرسوم المطلوبة من قبل الباحث خلال المدة المقررة للدفع ورفع سند الإيصال من خلال منصة التقديم، يرسل البحث لمحكّمين اثنين؛ على الأقل.
10. في حال اكتمال تقارير المحكّمين عن البحث؛ يتم إرسال خطاب للباحث يتضمّن إحدى الحالات التّالية:

أ. قبول البحث للنشر مباشرة.

ب. قبول البحث للنّشر؛ بعد التّعديل.

ج. تعديل البحث، ثمّ إعادة تحكيمه.

د. الاعتذار عن قبول البحث ونشره.

11. إذا تطلب الأمر من الباحث القيام ببعض التعديلات على بحثه، فإنه يجب أن يتم ذلك في غضون (أسبوعين من تاريخ الخطاب) من الطلب. فإذا تأخر الباحث عن إجراء التعديلات خلال المدة المحددة، يعتبر ذلك عدولا منه عن النشر، ما لم يقدم عذرا تقبله هيئة تحرير المجلة.
12. في حالة رفض أحد المحكمين للبحث، وقبول المحكم الآخر له وكانت درجته أقل من 70%؛ فإنّه يحق للمجلة الاعتذار عن قبول البحث ونشره دون الحاجة إلى تحويله إلى محكم مرجح، وتكون الرسوم غير مستردة.

13. يقدم الباحث الرئيس (حسب نموذج الرد على المحكمين) تقرير عن تعديل البحث وفقاً للملاحظات الواردة في تقارير المحكمين الإجمالية أو التفصيلية في متن البحث
14. للمجلة الحق في الحذف أو التعديل في الصياغة اللغوية للدراسة بما يتفق مع قواعد النشر، كما يحق للمحررين إجراء بعض التعديلات من أجل التصحيح اللغوي والفني. وإلغاء التكرار، وإيضاح ما يلزم. وكذلك لها الحق في رفض البحث دون إبداء الأسباب.
15. في حالة رفض البحث من قبل المحكمين فإن الرسوم غير مستردة.
16. إذا رفض البحث، ورغب المؤلف في الحصول على ملاحظات المحكمين، فإنه يمكن تزويده بهم، مع الحفاظ على سرية المحكمين. ولا يحق للباحث التقدم من جديد بالبحث نفسه إلى المجلة ولو أجريت عليه جميع التعديلات المطلوبة.
17. لا ترّد البحوث المقدمة إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر، ويخطر المؤلف في حالة عدم الموافقة على النشر
18. يحق للمجلة أن ترسل للباحث المقبول بحثه نسخة معتمدة للطباعة للمراجعة والتدقيق، وعليه إنجاز هذه العملية خلال 36 ساعة.
19. لهيئة تحرير المجلة الحق فـــي تحديد أولويات نشر البحوث، وترتيبها فنّياً.

المشرف العام

سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي

أ. د. هيثم بن محمد بن إبراهيم السيف

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير

أ. د. نوف بنت سالم الشمري

أستاذ البلاغة والنقد، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. عبد العزيز بن سليمان الغسلان
أستاذ السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
المملكة العربية السعودية

أ. د. عمر عبد الله العنانزة
أستاذ الإدارة الفندقية، جامعة اليرموك
المملكة الأردنية الهاشمية

أ. د. عبد الله محمد أبو تينة
أستاذ القيادة التربوية، جامعة قطر، دولة قطر

أ. د. سيندر دوفتشين
أستاذ تعليم اللغة، جامعة كيرتن، أستراليا

د. ثامر بن عيسى العميم
أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك، جامعة حائل
المملكة العربية السعودية

د. عمر عبد الله الصمعاني
استاذ تنمية المواهب والابتكار المشارك، جامعة حائل
المملكة العربية السعودية

د. محمد بن حسين أوانق أحمد
محاضر أول (Senior Lecturer) في دراسات اللغة العربية
جامعة ملايا، ماليزيا

أ. ممدوح نويجع الرشيدي
سكرتير هيئة التحرير

مدير إدارة التحرير

د. علي بن عيسى الشمري

أستاذ المناهج وتعليم اللغة العربية المشارك، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

الهيئة الاستشارية

أ.د فهد بن سليمان الشايع

جامعة الملك سعود – مناهج وطرق تدريس

Dr. Nasser Mansour
University of Exeter. UK – Education

أ.د محمد بن مترك القحطاني

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – علم النفس

أ.د علي مهدي كاظم

جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان – قياس وتقويم

أ.د ناصر بن سعد العجمي

جامعة الملك سعود – التقييم والتشخيص السلوكي

أ.د حمود بن فهد القشعان

جامعة الكويت – الخدمة الاجتماعية

Prof. Medhat H. Rahim
Lakehead University - CANADA
Faculty of Education

أ.د رقية طه جابر العلواني

جامعة البحرين – الدراسات الإسلامية

أ.د سعيد يقطين

جامعة محمد الخامس – سرديات اللغة العربية

Prof. François Villeneuve
University of Paris 1 Panthéon Sorbonne
Professor of archaeology

أ. د سعد بن عبد الرحمن البازعي

جامعة الملك سعود – الأدب الإنجليزي

أ.د محمد شحات الخطيب

جامعة طيبة – فلسفة التربية

ألوان الإبل في الشعر العربي القديم: دراسة وصفية تحليلية

Camel Colors in Ancient Arabic Poetry: An Analytical Descriptive Study

د. صالح بن سالم الحارثي
أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية.
https://orcid.org/0009-0005-0305-7664

Dr. Saleh Bin Salem Al – Harthi
Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Sciences and Arts, Najran University, Kingdom of Saudi Arabia.

(تاريخ الاستلام: 2025/10/15، تاريخ القبول: 2025/12/22، تاريخ النشر: 2025/01/15)

المستخلص

للإبل مكانة راسخة منذ العصور القديمة في الثقافة العربية عامةً، وحضورها في الشعر العربي القديم يؤكد أهميتها في حياة العربي؛ بصفتها مكونًا فكريًا وثقافيًا وأدبيًا ولغويًا أصيلًا، كان له الأثر البارز في تشكّل الأدب العربي على مر العصور، وموضوع هذه الورقة البحثية الموسوم بـ: «ألوان الإبل في الشعر العربي القديم: دراسة وصفية تحليلية»، جاء وفقًا لتلك الأهمية، ومتماشيًا مع تلك الرؤى؛ وذلك لكونها تهدف إلى التأكيد على أهمية الإبل، وجَمَالِ ألوانها في حياة العربي، وثقافته منذ العصر الجاهلي، وبيان ما للألوان من دور في تعدد أوصاف الإبل لدى اللغويين والأدباء والشعراء العرب، ومعرفة الألوان، ومرادفاتها التي وصف بها الشعراءُ العرب القدامى الإبلَ، ووظفوها في بنية نصوصهم الشعرية، وإبراز دلالاتها اللغوية، وقيمتها الفنية أو الجمالية في النص الشعري القديم؛ وذلك من خلال دراستها دراسة وصفية تحليلية، وقد اقتضى موضوع الورقة البحثية أن يكون في مقدمة، وثلاثة مباحث، هي: المبحث الأول: الإبل وأهميتها في حياة الإنسان العربي، والمبحث الثاني: وصف الإبل حسب ألوانها في كتب اللغة والأدب، والمبحث الثالث: ألوان الإبل في الشعر العربي القديم، ويأمل الباحث أن يشكّل موضوع هذه الورقة البحثية إضافةً علمية جديدة في المكتبة الثقافية العربية؛ لعدم وجود دراسة سابقة تناولته بالوصف والتحليل النقدي.

الكلمات المفتاحية: اللون، الإبل، الشاعر، الشعر العربي القديم، الوصف.

Abstract

Camels have an established place since ancient times in Arab culture in general, and their presence in ancient Arab poetry confirms their importance in Arab life; As a genuine intellectual, cultural, literary and linguistic component, it has had a significant impact on the formation of Arabic literature throughout the ages. The theme of this paper, «Camel Colors in Ancient Arabic Poetry: A Descriptive Study,» is of such importance and in line with these insights; This is because it aims to emphasize the importance of camels, the beauty of their colors in the life of the Arab, and its culture since the Jahili era, and to show the role of colors in the multiplicity of descriptions of camels among Arab linguists, writers and poets, and knowledge of colors, and their synonyms with which old Arab poets described camels, and employed them in the structure of their poetic texts, and highlight Its linguistic connotations, its artistic or aesthetic value in the ancient poetic text; This is done through an analytical study. The topic of the research paper required an introduction and three topics, namely: The first topic: Camels and their importance in the life of the Arab man. Second topic: Description of camels according to their colors in language books and literature. Third topic: Camel colors in ancient Arabic poetry. The researcher hopes that the topic of this research paper will constitute a new scientific addition in the Arab Cultural Library; There was no previous study that addressed it with descriptions and critical analysis.

Keywords: Color, camel, poet, ancient Arabic poetry, description.

للاستشهاد: الحارثي، صالح بن سالم. (2026). ألوان الإبل في الشعر العربي القديم: دراسة وصفية تحليلية. *مجلة العلوم الإنسانية بجامعة حائل*، 03 (29)، ص123 – ص144.

التمويل: لا يوجد تمويل لهذا البحث

Funding: There is no funding for this research

المقدمة:

احتلت الإبل في نفس الشاعر العربي منذ القِدم مكانة خاصة، فلم يكن يراها مجرد حيوانٍ، بل أنسنها؛ وجعلها رفيقته في حلّه وترحاله في السلم والحرب، مما جعلته يتسامى بها، فمنحها مكانة مركزية للغاية في قصائده، حتى كانت من أبرز المضامين الموضوعية الرئيسة المهيمنة في بنية القصيدة العربية، وغرضٍ رئيس من الأغراض الشعرية، فوصفها وصفًا دقيقًا، تناول جمالها من حيث اللون والشكل وتناسق جسدها، وسرعتها وغير ذلك من الصفات الجسدية والمعنوية؛ إذ إن حضورها في الشعر العربي القديم يؤكد أهميتها في حياة الإنسان والشاعر العربي؛ بصفتها مكونًا فكريًا وثقافيًا وأدبيًا ولغويًا أصيلًا، كان له الأثر البارز في تشكّل الأدب العربي على مر العصور، وموضوع هذا البحث الموسوم بـ: «ألوان الإبل في الشعر العربي القديم: دراسة وصفية تحليلية»، جاء وفقًا لتلك الأهمية، ومتماشيًا مع تلك الرؤى؛ وذلك لكون دراسته تهدف إلى التأكيد على أهمية الإبل، وجَمَالِ ألوانها في حياة العربي، وثقافته منذ العصر الجاهلي، وبيان ما للألوان من دور في تعدد أوصاف الإبل لدى اللغويين والأدباء والشعراء العرب، ومعرفة الألوان، ومرادفاتها التي وصف بها الشعراءُ العرب القدامى الإبلَ، ووظفوها في بنية نصوصهم الشعرية، وإبراز دلالاتها اللغوية، وقيمتها الفنية أو الجمالية في النص الشعري القديم؛ وذلك من خلال دراستها دراسة وصفية تحليلية.

وقد اخترت موضوع البحث بعد أن بحثتُ في أوعية المصادر والمعلومات الإلكترونية وغيرها؛ وبعد أن تأكدتُ –حسب علمي– من عدم وجود دراسة سابقة تناولته بالوصف والتحليل النقدي، غير أن هناك دراسة لغوية دلالية بعنوان: (ألفاظ الإبل بين الماضي والحاضر: دراسة في التطور الدلالي) للباحث فارس بن ناصر السبيعي (2024)، هدفت –حسب قوله في المقدمة– إلى «دراسة ألفاظ الإبل في كتاب الإبل للأصمعي، وتأييدها بما جاء في زَمَنِها، وتبعها في التأليف في معاجم العرب، وكتب اللغة، ومقارنتها بما ورد في كتاب العبودي من ألفاظ، وتمييز ما تغير منها دلاليًا، وصوتيًا، وصرفيًا، وما بقي مستعملاً، وما أهمل، واستدراك ما فات الأصمعي في زمنه من ألفاظ، وما فات العبودي ذكره من ألفاظ الإبل الدارجة الآن، وتكمل المقارنة بينهما بجولات ميدانية بين أهل الإبل اليوم من نجد؛ لأنها بيئة العبودي الَّتِي أَخَذَ منها مادته» (ص. 16).

وقد تناول الباحث السبيعي في دراسته –المشار إليها– اللون (ضمنيًا) من الناحية الدلالية كما جاء في النصوص النثرية التي اقتبسها من بعض كتب أمّاتِ اللغة، من دون أن يتطرق إليه ودلالته في النصوص الشعرية القديمة التي تجنب ذكر الكثير منها، أو الاستدلال بها على الدلالة اللونية، إذا ما استثنينا أبياتًا شعرية جاءت عفوًا، استدعاها السياق اللغوي؛ وذلك لأنه اقتصر على كتابين: أحدهما قديم، وهو (كتاب الإبل) للأصمعي، والآخر معاصر، وهو كتاب (معجم الإبل) للعبودي؛ لغرض الموازنة الدلالية بينهما من حيث إيراد ألفاظ الإبل عند كليهما؛ وبيان ما حصل للفظ من تطور دلالي في الاستعمال اللغوي المعاصر.

والحق يقال فقد استفدت من دراسة السبيعي في بحثي هذا، الذي يختلف عنها في أن بحثي خصص للدراسة الوصفية لألوان الإبل من خلال ورودها في النص الشعري العربي القديم، وتناول ذلك بالوصف والتحليل النقدي لتلك الألفاظ، وبيان دورها الجمالي في السياق الشعري.

وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، خُصصَّ التمهيد للتعريف بمفهوم اللون في اللغة والإصلاح، ثم تناولتُ في المبحث الأول: الإبل وأهميتها في حياة الإنسان العربي، وفي المبحث الثاني: وصف الإبل حسب ألوانها في كتب اللغة والأدب، وفي المبحث الثالث: ألوان الإبل في الشعر العربي القديم، ثم كانت الخاتمة التي أبرزتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، وأتبعتُ ذلك بقائمة المصادر والمراجع التي استعنت بها في كتابة هذا البحث، وإنجازه، وفي الأخير أسأل الله التوفيق والسداد.

المبحث الأول: الإبل وأهميتها في حياة الإنسان العربي

للإبل مكانة مرموقة عند العرب منذ القِدم وحتى يومنا هذا، فقد ارتبطت بهم نفسيًا ووجدانيًا، وبحياتهم اليومية، ومتطلباتها، فاعتنوا بتربيتها؛ لكونها في نظرهم جزءًا –في حِلّهم وترحالهم– من حياتهم العامة: الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية،...إلخ، ورمزًا تاريخيًا في الماضي والحاضر لفكرهم، ولهويتهم العربية والثقافية والحضارية الأصيلة الخالدة، وقد صوّر لنا القاضي أبو سعيد السيرافي العلاقة الحميمة بين الإبل والعربي كما جاء في كتاب شرح المعلقات العشر للزوزني (2002): «البعير بمنزلة الإنسان، والجمل بمنزلة الرجل، والناقة بمنزلة المرأة، والسقب بمنزلة الصبي، والحائل بمنزلة الصبية، والحوار بمنزلة الولد، والبكر بمنزلة الفتى، والقلوص بمنزلة الجارية». (ص. 220).

ولا ريب أن هذه المكانة جاءت من طبيعة حياة العربي في شبه الجزيرة العربية بما فيها من جبالٍ، وسهول، وصحاري، وفيافٍ شاسعة، مترامية الأطراف آنذاك؛ إذ إنه لا توجد وسيلة تعينهم على التغلب على صِعاب العيش فيها، أو على اختراقها، والتنقل عبرها إلا الناقة القوية السريعة، ولذا سميت بسفينة الصحراء، إضافةً إلى ما يستفيده العربي في غذائه، وعلاجه، من لحومها، ولبنها، ودمها، وبولها، وفي ملبسه ومسكنه من جلدها، ووبرها، وشحومها، وأبعارها؛ ولذلك اهتم بها، وجعلها نصب عينيه، لا يمكن أن يفرط بها؛ لكونها من أثمن ما يمتلكه. ولتلك الأهمية فقد جاء القرآن الكريم مذكرًا الإنسان العربي بذلك، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَامَ خَلَقَهَاۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ، وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل: 5-7]. وفي قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ

مّن جُلُودِ الأنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىَ حِينٍ﴾ [سورة النحل: 80]. وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [سورة غافر: 79 - 80]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة الأنعام: 142]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ، وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ، وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يس: 79 - 80].

وقد روي عن النبي صلَّى الله عليه وسلم أنه قال: (الإبلُ عزٌّ لأَهْلِها، والغنمُ بَرَكَةٌ، والخَيرُ معقودٌ في نَواصي الخَيلِ إلى يومِ القيامة) (ابن ماجه، 1997، ج2، ص. 773)، وقد كان لناقته صلَّى الله عليه وسلم دورٌ في تحديد مكان بناء المسجد في المدينة المنورة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: دعوها فإنها مأمورة) (أبو عثمان، 1982، ج2، ص. 400)، وقد وجه المسلمين إلى أن يعارضوها في أداء هيئات الصلاة، فقال: (إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كما يَبْرُكُ البَعِيرُ ، وليضعْ يدَيْه قبل رُكبتَيْه) (أبو داود، 1392، ج1، ص. 222). وقد جاء في الأثر النهي عن سبّها: «لَا تَسُبُّوا الإِبلَ فإِنَّ فِيهَا رَقُوءَ الدَّمِ ومَهْرَ الكَرِيمةِ»(ابن السكيت، 1987، ص. 152). ولمكانتها في نفس العربي يحث أكثم بن صيفي (حكيم العرب) العرب على إكرامها، فيقول: «عليكم بالإبل فأكرموها، فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقابها إلا في حقها»(القيسي، 1982، ص.66).

ولعظم أهمية الإبل في نفس العربي، وحياته، ولقيمتها المادية والمعنوية معًا؛ دارت من أجلها خلافاتٌ، وحروبٌ، ومعارك كثيرة، و»مثلما ملأت عليه حياته بمنافعها، فقد ملأت قلبه حبًّا لها، وشغفًا بها، كما ملأت عقله وتفكيره انشغالاً بها، فكان معظم نتاجه الفكري والعقلي مشوبًا بتفكيره فيها، وانشغاله بها، لا ينفصل عنهما أبدًا، كما يبدو ذلك جليًّا في لغته، وأدبه، وفلسفته في الحياة، فبداية بلغته التي يتكلمها، فقد كثرت فيها الكلمات والتراكيب التي يستخدمها في الدلالة على معانٍ أخرى لا صلة لها بالإبل، مع أن تلك الكلمات والتراكيب وضعت أصلًا للدلالة على معان مرتبطة بها؛ مما يرجح أن الإبل كانت أصلًا من أصول التعبير العربي» (إبراهيم، 2023، ص.48). ونظرًا لذلك فقد كانت الإبل عند الشعراء العرب القدامى مدار وصفهم، وفخرهم بذواتهم والقبيلة، ومن أهم مصادر خيالهم أو صورهم الشعرية، فاحتلت مساحة واسعة في شعرهم، الذي وصفوا به –غالبًا– العلاقة الوثيقة بين العربي وناقته، التي كانت ملجأً له، يمتطيها إذا ما اعترته الهموم والأتراح، وقسوة الحياة والعيش، فيضرب بها نحو الفيافي والصحاري، والهضاب والسهول والوديان؛ بحثًا عن العشب والكلأ، والاستقرار؛ هروبًا من تلك الهموم، علَّهُ يجدُ في ذلك العزاء والسلوان، وما يمكنه من البقاء والعيش بطمأنينة وراحة.(الفاخوري، 1986، ص. 144)

وتأكيدًا لتلك العلاقة؛ نجد أن اللغويين والأدباء والنقاد والشعراء العرب القدامى قد استنبطوا مفرداتهم، ومصطلحاتهم الأدبية والنقدية والشعرية من الإبل؛ مما جعلها عندهم أصل من أصول التعبير العربي، «فكلما أراد العربي أن يعبر عن معنى من المعاني الجديدة عليه في حياته، أطلق خياله وأرسله؛ ليتمعن في ناقته حتى يأتيه منها بما يعبر به عن ذلك المعنى الجديد، فيستعير من الألفاظ المرتبطة بها ما يناسب ذلك المعنى»(إبراهيم، 2023، ص. 48). ومن أمثلة ذلك إطلاق لفظ (شرود) الخاص بالبعير الصعب الشارد على القافية، والشعر المنتشر الذائع الصيت، كما في قول الأزهري: «قَالَ ابْن المظفر: شَرَد البعيرُ يشرُدُ شِراداً،... وقافِيَةٌ شَرُودٌ: عائِرَةٌ سائِرَةٌ فِي الْبِلَادِ تَشْرُدُ كَمَا يَشْرُدُ الْبَعِيرُ؛ وَقَالَ الشَّاعِر (البيت لم أعثر على قائله):

شَرُودٌ إِذا الرّاءُونَ حَلُّوا عِقَالها

مُحَجَّلَةٌ فِيهَا كلامٌ مُحَجَّلُ

وشرَدَ الْجمل شُروداً فَهُوَ شارد، فإِذا كَانَ مُشَرَّداً فَهُوَ شريدٌ طريد. وتقول: أشردته، وأطردته؛ إذا جعلته شريدا طريدا لا يؤوى»(الأزهري، 2001، ج11، ص. 220). وقول ابن سلام الجمحي في وصف شعر الحطيئة: «وَكَانَ الحطيئة متين الشّعْر، شرود القافية» (الجمحي، د.ت، ج1، ص. 104)، وفي ذلك إشارة إلى أن قولهم: «قافية شرود» مأخوذ من تشبيه القصيدة في سيرورتها، وشيوعها على الألسنة بالناقة الشرَّادة، التي يصعب الإمساك بها. يقول الفرزدق عن شعره لشيوعه، ما يجعل بعض الشعراء ينسبون أجود قصائده إلى أنفسهم: (أبو عبيدة، 1998، ج1، ص.295،294)

إذا ما قلتُ قافيةً شَرودًا

تَنَحَّلَهَا ابنُ حمراءِ العِجَان

وفي ذلك يقول الجاحظ: «وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد، ومنها الشواهد والشوارد» (الجاحظ، د.ت، ج2، ص. 8). بل إن ابن سلام قد سمى كتابه النقدي (طبقات فحول الشعراء)، تشبيهًا للشعراء الذين اختارهم بالفحول؛ لسمو مكانتهم، ولكونه جعلهم في طليعة الشعراء كميزة الجمل الفحل بين الإبل، والذي يعد علامة فارقة في حياة العربي، فهو الغاية في القوة، والعطاء، والصبر، والمنفعة، إضافة إلى أن ابن سلام جعل مصطلح الفحولة مقياسًا نقديًّا.

ويطلق العربُ لفظَ (شرود) على المَثَل السائر، وفي ذلك يقول ابن رشيق القيرواني (1982): «مَثَلٌ شرودٌ، وشاردٌ، أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشارد الذي لا يكاد يعرض له ولا يرد»(ج1، ص. 281)، وقد جاءت أكثر الأمثال العربية القديمة مستوحاة من وحي تجارب العربي مع الإبل، ومتعلقة بها، وقد وظفها الشعراء في بنية قصائدهم، كقولهم: «هما كركبتي البعير»(العسكري، د.ت، ج2، ص.358)، يضرب مثلا للمساواة بين اثنين، وقولهم: «أخبط

من عشواء» (العسكري، د.ت، ج1، ص.441)، يضرب للحيرة، وعدم الهداية، قال العسكريّ (د.ت): «أخبط من عشواء، وهي النّاقة العشواء الَّتي لا تبصر باللَّيل، فتخبط كلّ شيء تمرّ به، والخبط: أن تطأ برجلها فتكسره» (ج1، ص.441). وقد وظفه الشاعر زهير بن أبي سلمى في قوله: (الزَّوْزَني، 2002م، ص.149).

رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ

تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

وفي شرح البيت يقول الزوزني (2002): «والخبط: الضرب باليد، والفعل خبط يخبط، والعشواء: تأنيث الأعشى، وجمعها عُشْو، والياء في عشِيَ منقلبة عن الواو كما كانت في رضي منقلبة عنها، والعشواء: الناقة التي لا تبصر ليلًا، ويقال في المثل: هو خابط خبط عشواء، أي قد ركب رأسه في الضلالة كالناقة التي لا تبصر ليلًا فتخبط بيديها على عمى، فربما تردَّت في مهواة وربما وطئت سبعًا أو حية أو غير ذلك... رأيت المنايا تصيب الناس على غير نسق وترتيب وبصيرة، كما أن هذه الناقة تطأ على غير بصيرة، ثم قال: من أصابته المنايا أهلكته ومن أخطأته أبقته فبلغ الهرم».

وألفاظ ومصطلحات أخرى كثيرة، هي في أصلها المعجمي اللغوي ترجع إلى معاني الإبل، وقد أطلقها الأدباء والنقاد لتشير إلى مسميات أخرى –لا صلة لها بالإبل– هي خاصة بالقصيدة الشعرية، وبعلم العروض والقافية، وغير ذلك، ومن تلك الألفاظ: الرجز، فقد قال ابن دريد (1987) في تسميته: «الرجز من الشّعْر: مَعْرُوف، وَإِنَّمَا سمي رجزا؛ لتقارب أَجْزَائِهِ وَقلة حُرُوفه. قَالَ أَبُو حَاتِم: الرجز من الشّعْر مَأْخُوذ من النَّاقة الرجزاء. وَالرجز: دَاء يُصِيب الْإِبِل فِي أعجازها، فَإِذا ثارت النَّاقة ارتعشت فخذاها» (ج1، ص. 455، 446). ويقول أبو العلاء المعري (2008): «إنه سمي رجزًا؛ إن الرجز سمي رجزًا لاضطراب أجزائه، شبه بالرجز الذي يلحق الإبل، من قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت تضطرب فخذاها عند القيام» (ص. 584). ويقول الخطيب التبريزي (1986): «سمي رجزًا؛ لأنه يقع فيه ما يكون على ثلاثة أجزاء وأصله مأخوذ من البعير إذا شدت إحدى يديه، فبقي على ثلاث قوائم. وأجود منه أن يقال: ناقة رجزاء، إذا ارتعشت عند قيامها؛ لضعف يلحقها، أو داء، فلما كان هذا الوزن فيه اضطراب سمي رجزًا؛ تشبيها بذلك» (ص. 102).

ولفظ (السناد) للقافية، يقول ابن رشيق القيرواني (1981): «واشتقاق السناد من تساند القوم إذا جاءوا فرقًا، لا يقودهم رئيس واحد، وقيل: بل هو من قولهم ناقة سناد، إذا كانت قوية صلبة؛ لأن الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة.. وقالوا: بل السناد الناقة المشرفة، كأن إحدى القوافي أشرفت على أخواتها»(ج1، ص. 169).

يتضح للباحث مما تقدم، أن للإبل مكانة مرموقة، في نفس العربي، وأهمية عظمى في حياته اليومية العامة، بكل جوانبها الاجتماعية والدينية والاقتصادية والتاريخية والثقافية، ونظرًا لذلك فقد سيطرت الإبل على ذهن العربي، وتفكيره منذ العصر الجاهلي، فكانت مصدرًا معرفيًّا وفكريًّا للشعراء والنقاد والأدباء العرب القدامى، أثّرت لغتهم وثقافتهم، فاستقوا من معجمها اللفظي صورهم الفنية، ومصطلحاتهم النقدية واللغوية التي حملت دلالات جديدة لا صلة لها بالإبل.

المبحث الثاني: وصف الإبل حسب ألوانها في كتب اللغة والأدب.

خلق الله سبحانه وتعالى الألوان، كما يقول ابن جزي (1986): «نزهة للأبصار, ومجالاً للاعتبار, فإذا اجتمعت الألوان تضاعف حسنها، وازداد بهاؤها، وقوي الإعجاب بها، حتى إن الألوان عند أرباب البلاغة وأصحاب الفصاحة إذا اجتمعت في اللفظ، وتألَّفت في النطق فإنه يحسن بها الكلام، ويتأنَّق باجتماعها النثر والنظام، ويسمون اجتماع الألوان في مساق واحد في النثر والنظم بالتدبيج، وهو فن من فنون البديع، وأسلوب من أساليب البيان» (ص. 51). ولقد خصّت العرب الألوان الأصلية دون غيرها بألفاظ تابعة لها؛ إذا أرادت استحكامها, وقصدت تمكّنها؛ وذلك لتبين درجتها اللونية، أو إشراقها أو كمدتها، فقالوا: أبيض ساطع, وأسود حالك, وأحمر قانئ، ولم يفعلوا ذلك في الألوان الفرعية؛ ولذا فالألوان وإن كثرت أصنافها، وتعددت أنواعها، فهي ترجع إلى قسمين، ألوان أصلية، وهي الأبيض، والأحمر، والأسود، والصفرة والخضرة، وألوان فرعية، وهي ما عدا ذلك المركبة بعضها مع بعض، كالأزرق مركب من السواد والبياض (ابن جزي، 1986، ص. 49). ونظرًا لذلك فإن أوصاف الإبل تتعدد حسب ألوانها، في كتب اللغة والأدب، وفي الشعر العربي، وقد استُمدّت تلك الأوصاف اللونية من البيئة التي يعيش فيها العربي، كأُدمٌ، من الأدمة، أو أديم الأرض، و مدمىّ من الدَّمّ، والأعفر من العفر وهو التراب، والأملح من الملح،...إلخ. ومما جاء في وصف الإبل حسب ألوانها من ألفاظ في كتب اللغة والأدب، الآتي:

جاء في صبح الأعشى للقلقشندي (1987) «العراب؛ وهي الإبل العربية، وأصنافها لا يأخذها الحصر، أما ألوانها فترجع إلى ثلاثة أصول:

الأوّل: البياض، فالجمل إذا كان خالص البياض قيل: آدم والأنثى أدماء على الضدّ من بني آدم؛ فإن خالط البياض يسير شقرة، قيل: أعيس والأنثى عيساء.

الثاني: الحمرة، فإن احمرّ وغلبت عليه الشّقرة قيل: أصهب والأنثى صهباء؛ فإن خلصت حمرته قيل: أحمر والأنثى حمراء؛ فإن خالط حمرته قنوء. قيل: كميت؛ فإن صفت حمرته قيل: أحمر مدمّى؛ فإن خالط الحمرة خضرة قيل: أحوى؛ فإن خالطها صفرة قيل: أحمر راديّ بكسر الدال؛ فإن خالطها سواد قيل: أرمك والأنثى رمكاء؛ فإن كانت حمرته كصدأ الحديد قيل: أجأى.

الثالث: السواد، فإن كان السواد فيه ضعيفًا قيل: أكلف؛ فإن خالط السواد صفرة قيل: أحوى، فإن علق بسواده بياض قيل: أورق؛ فإن زادت ورقته حتّى أظلم بياضه قيل: أدهم؛ فإن اشتد سواده قيل: جون، فإن كان بين الغبرة والحمرة قيل: خوّار والأنثى خوّارة»(ج2،

ص. 36،35). وسنتناول فيما يأتي هذه الألوان الثلاثة التي وصفت بها الإبل؛ لكونها الأصل التي ترجع إليها ألوان الإبل الأخرى (الفرعية)، من دون أن نعتمد على ما ذكره القلقشندي من تحديد الألفاظ للألوان الفرعية لكل نوع؛ نظرًا للخلط الذي وقع في تحديده تلك الألوان الوصفية للون الأساس الغالب فيه.

1. اللون الأبيض من الإبل:

البياض ضد السواد، وهو أشرف الألوان، وهو أصلها، وهو قابل لجميعها (البغدادي، 1997، ج2، ص.37)، ومن الألفاظ اللونية الدالة على البياض، والبياض الخالص، والتي وصفت بها الإبل حسب لونها: العيس، والمغص، والأدم، حضار، والهجان، والصهباء، والزُّرقة، والناعجة، والأعفر، والتي ذكرت في أمات كتب اللغة والأدب، وعن ذلك يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (د.ت):»العيس والعيسة: لون أبيض مشرب صفاء في ظلمة خفية، يقال: جمل أعيس، وناقة عيساء. والجمع: عيس...والعَرَبُ خصّت بالعيس عِراب الإبلِ البيض خاصّة» (ج2، ص.201). وقد وافق ابن فارس في كتابه (مقاييس اللغة) الفراهيدي، ونقل عنه هذا النص كما هو (ابن فارس، 1979، ج4، ص.193). والذي يُفهم من هذا النص أن الفراهيدي أشار فيه إلى دلالتين للفظ (العيس)؛ هما:

أحدهما: دلالة عامة، وُضِعَتْ للفظ إبداءً، وهي البياض غير الخالص.

والأخرى: وهي دلالة خاصة بعراب الإبل البيض، أو البياض الخالص.

وهاتان الدلالتان قد جاءتا عند كثير من العلماء واللغويين، فقد وردتا عند بعضهما معًا، وتفرد البعض الآخر بذكر أحدهما، والغالب ذكرهما معًا، فقد ذكر الأصمعي (2003) في (كتاب الإبل)، ونقل عنه ابن السكيت (د.ت) أن البعير «إذا خلط بياضه شيء من شقرة فهو أعيس بين العيسة، والعيسة المصدر» (ص. 147)، وقال ابن السكيت (1987) في كتابه إصلاح المنطق: «والعيس: جمع أعيس وعيساء، وهي الإبل البيض، يخلط بياضها شيء من الشقر»(ص.20).

وجاء عند ابن دريد (1987) في جمهرته بأن «العيس: لون من ألوان الإبل، وهو بياض تخلطه حمرة كدرة يسيرة ، وقال قوم: بل البياض الخالص هو العيس، جمل أعيس، وناقة عيساء من إبل عيس» (ج2، ص.845). وتكرر النص نفسه عند الأزهري (2001) في تهذيبه؛ إذ يقول: «والعيس: لون من ألوان الإبل، وهو بياض تخلطه حمرة كدرة يسيرة، وقال قوم: بل البياض الخالص هو العيس» (ج2، ص.89).

وعند الصاحب بن عباد (1994) في قوله: «والعيس والعيسة: بياض في ظلمة خفية، والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة» (ج2، ص. 114). ونصَّ الجوهري (1987) بقوله: «العيس بالكسر: الإبل البيض يخالط بياضها شيءٌ من الشقرة، واحدها أعيس، والأنثى عيساء بينة العيس. قال الشاعر: (لم أعثر على القائل)

أَقُوْلُ لِخَارِبَيْ هَمْدَانَ لِمَا

أَثَارَا صِرْمَةً حُمْرًا وَعِيسَا»

(ج3، ص.954).

ويشير الثعالبي (2002) في حديثه عن ألْوانِ الإبِل إلى أن البعير «إِذَا خَالَطَتْ بَيَاضَهُ شُقْرَة فَهُوَ أَعْيَسُ (ص. 71). وذكر ابن سيده (2000) أن «العيس والعيسة: بياض يخالطه شيء من شقرة، وقيل: هو لون أبيض مشرب صفاء في ظلمة خفية، وهي فعلة؛ لأنه ليس في الألوان فعلة، وإنما كسرت لتصح الياء كبيض» (ج2، ص. 221). وأورد الحميري (1999) في كتابه (شمس العلو) «العيس: البِيض». وهي عند الفيومي (د.ت): «إبل بيض في بياضها ظلمة خفية الواحدة عيساء»(ج2، ص.441)، وهي عند الفيروزأبادي (2005) «الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، وهو أعيس، وهي عيساء». وعند مرتضى الزبيدي (1965) في التاج: ويقال للإبل البيض الكرام: المَغَصُ. والمغص عند الفراهيدي (د.ت): «تِلاد الإبل، وقيل: البيض الكرام، والواحدة مغصة» (ج5، ص.11).

ذكر ابن دريد (1987) أن «المغص: البيض من الإبل الخالصة البياض، والجمع أمغاص. وقال بعضهم: بل المغص جمع لا واحد له من لفظه يقال: إبل مغص، وناقة مغص، والأول أعلى» (ج2، ص.889). وجاء عند ابن سيده (2000) أن «المغص، من الإبل والغنم: الخالصة البياض. وقيل: البيض فقط. واحدته: مغصة»، والمغص خيار الإبل الغزار (الجوهري، 1987).

والعرب تُسمّي الإبل البيض حِضارًا، والحضار: «اسم جامع للإبل البيض كالهجان، الواحدة والجميع في الحضار سواء»(الفراهيدي، د.ت، ج3، ص. 102). ويقال: «إبل حضار، وهي الإبل البيض، ولا واحد لها من لفظها مثل الهجان سواء» (البونسي، 2004، ج1، ص. 414)، ويقال: «حضار الإبل: بيضها» (ابن فارس، 1979).

وتوصف الإبل البيض بالهجان، فقد ذكر الفراهيدي (د.ت)، والبندنيجي (1976): أن «الهجان من البيض من الإبل الكرام، ناقة هجان وبعير هجان، ويجمع على هجائن...». ويقول ابن سيدة (1996): «الهِجانُ من الإبل البيضاءُ الخالصةُ اللونِ». ويقول ابن الأجدابي (د.ت): «والهجان: الْإِبِل الْكَرِيمَة، وَكَذَلِكَ كل كريم خَالص فَهُوَ هجان، وَيَقَّع على الْوَاحِد وَالْجمع» (ص.96).

ويقال للإبل الخالصة البياض أُدُمٌ، جاء في كتاب العين للفراهيدي (د.ت): «أن الأدمة في الناس شربة من سواد، وفي الإبل والظباء بياض... والآدَمَ من الْإِبِل الأَبْيَض»، والبعير إذا كَانَ أَبْيَضَ فَهُوَ آدَمُ، أي «إذا صدق لونه فلم تكن فيه صهبة ولا حمرة، ولم يخلط شيء من الألوان لونه فهو آدم، وناقة أدماء» (الأصمعي،

2003، ص.146)، ويقول الجوهري (1987): «والأدمة في الإبل: البياض الشديد، يقال: بعيرٌ آدَمُ، وناقةٌ أَدماء، والجمع أُدمٌ...، ويقال: هو الأبيض الأسود المقتلين». والأدم من الإبل عند ابن الأجدابي (د.ت): «الْخَالِصَة الْبَيَاض، وَيُقَال جمل آدم وناقة أدماء».

والأدم: الشديد السمرة، أو البياض في الناس، يقول ابن فارس (1996): «أمَّا اللون الأدم؛ فلأنه الأغلب على بني آدم». والغالب على البشر اللون الأبيض.

ويقال للإبل التي ليست بشديدة البياض، أو إذا خالط بياضها حمرة، فاحمر ذفراها وعنقها وكتفاها وذروتها وأوظفتها؛ ناقة صهباء، وبعير أصهب. (ابن سيدة، 1996، ج2، ص.156)، فعن «ابن الأعرابي: الأصهب من الإبل الأبيض...والصهبة أشهر الألوان، وأحسنها، حين تنظر إليها»(ابن منظور، 1414، ج1، ص. 532)، ويقول ابن دريد (1987): «الصُّهبة لون معروفٌ، وهي من ألوان الإبل، بياضٌ يعلوه شبيهٌ بالصُّفرة» (ج1، ص. 352). ووافقه في ذلك الجوهري (1987) فقال: «الأصهب من الإبل: الذي يخالط بياضه حُمْرَةٌ، وهو أن يحمرَّ أعلى الوبَر، وتبيضّ أجوافه، وجمل صهابي، أي أصهب اللون» (ج1، ص.166)، وأيضًا ابن سيده (2000) فقال: «والأصهب من الإبل: الذي ليس بشديد البياض، وقال ابن الأعرابي: العرب تقول: قريش الإبل: صهبها وأدمها، يذهبون في ذلك إلى تشريفها على سائر الإبل، وقد أوضحوا ذلك بقولهم: خير الإبل صهبها وحمرها، فجعلوها خير الإبل، كما أن قريشا خير الناس عندهم» (ج4، ص.109). إلّا أن الفراهيدي (د.ت) مِن قبلهم قد كان رأيه في ذلك مخالفًا لهم، حيث قصره على دخول الحمرة على اللون الأسود، فقال: «الصهب والصهبة: لون حمرة في شعر الرأس واللحية إذا كان في الظاهر حمرة وفي الباطن سواد. وبعير أصهب وصهابي، وناقة صهباء وصهابية» (ج3، ص. 413). ووافقه الأزهري (2001) وابن منظور (1414) في ذلك، فيقول ابن منظور(1414): «صهب: الصهبة: الشقرة في شعر الرأس، وهي الصهوبة، ويقول الأزهري: الصهب والصهبة: لون حمرة في شعر الرأس واللحية، إذا كان في الظاهر حمرة، وفي الباطن اسوداد، وكذلك في لون الإبل؛ بعير أصهب وصهابي وناقة صهباء وصهابية...والصهب والصهبة: أن يعلو الشعر حمرة، وأصوله سود، فإذا دهن حُيِّل إليك أنه أسود، وقيل: هو أن يحمر الشعر كله» (ج1، ص. 531، 532). أما ابن فارس (1979) فيرى أن الصهبة حمرة تدخل على الشعر، وبياض يدخل على الحمرة، يقول: «صهب: الصاد والهاء والباء بناء صحيح، وهو لون من الألوان، من ذلك الصهبة: حمرة في الشعر، يقال: رجل أصهب. الصهباء: الخمر؛ لأن لونها شبيه بهذا، والمصهب من اللحم: ما اختلطت حمرته ببياض الشحم، وهو يابس» (ج3، ص.316).

والناعجة من الإبل: البيضاء الحسنة اللون، الخالصة شديدة النقاء، والجمع الناعجات والنواعج: الإبل البيض الخالصة البياض، يقول الفراهيدي: «نعج: نَعِجَ اللون نَعَجا إذا ابيضَّ، ونُعُوجا أيضًا، وهو البياض الخالص، وامرأة ناعجة اللون، أي: حسنته. وجملٌ ناعجٌ، وناقةٌ ناعجةٌ: حسنةُ اللون مُكَرَّمَة. والنعج: الابيضاض الخالص(الفراهيدي، د.ت، و ابن سيدة، 2000، وابن عباد، 1994)، يقول ابن فارس (1979): «(نعج): النون والعين والجيم: أصل صحيح يدل على لون من الألوان. منه النعج: البياض الخالص. وجمل ناعج؛ حسن اللون كريم»(ج5، ص.448).

ويُقال للإبل زُرقٌ؛ إذا خالط بياضها شيءٌ من السواد، وهي لون الرماد، ويُطلق على البعير لفظ الأفضح؛ إذا خالط بياضه أو غبرته لون قبيح، كلون اللحم المطبوخ. يُقال: الأفضح والفضحة والفضح من الألوان: الأبيض، وليس بشديد البياض، أو غبرة في طلحة يخالطها لون قبيح يكون في ألوان الإبل والحمام؛ أو لون اللحم المطبوخ. والفضح: الصبح تعلوه الحمرة لاستنارته، والأفضح: البين الفضح: الأسد والبعير للونهما (السبيعي، 2034، و الفراهيدي، د.ت). والأوضح: البعير الذي يقال له الأكحل، ويظهر السواد في عينيه وذيله، والناقة وضحاء (الماضي، 2017، ص.278).

يتضح لنا مما تقدم أن اللون الأبيض الخالص، يمثِّل صفة من صفات الإبل الكريمة، كالخضار، والمغص، والهجان، والناعجة، والأدم، وأن هناك ألوانًا تألفت من تمازج البياض والحمرة باختلاف نسبة كل لون إلى الآخر أو تساويها؛ كالصّهبة، والعيس، والعيسة، أو تمازج البياض والسواد كالزُّرق، والأفضح، والأوضح، والغبرة، وهي أقرب إلى البياض.

2. اللون الأحمر من الإبل:

من الألفاظ الوصفية للإبل، الدالة على اللون الأحمر، التي ذكرها العلماء العرب في كتبهم اللغوية والأدبية، قولهم: (بعير أَحْمَرُ، وناقة جُرَشِيَّة، أي: حَمْرَاء، وحُمْرُ النعم، ومُدمّى، أَرْمَكُ، ورمكاء، وكُمتة، وكميت، وأكلف، وأشقر، وأجأى، وأحلس، وحليس، وأحوى)، وتوضيح ذلك في الآتي:

يشير الخليل بن أحمد (د.ت) إلى أن النَّعَم: الإبل الحُمر العتاق إذا كثرتْ. وقيل: «حُمْرُ النَّعمِ هي: الإبل الحمر، وهي أعتقها وأحسنها، وأغلاها ثَمَنًا، والحُمْرُ منها أرفعُها» (المعافري، 2007، ج2، ص.115). والحمر: الْخَالِصَة الْحمرَة من الإبل. (ابن الأَجْدَابي، د.ت، ص.90).

يقول الأصمعي (2003) في (كتاب الإبل): «ومما يذكر من ألوان الإبل، يقال بعيرٌ أحمر، وناقةٌ حمراء، وإذا بولغ في نعت حمرته؛ قيل: كأنه عرق أرطاة، ويقال: أجلد الإبل، وأصبرها الحُمْرُ، فإذا خلط الحُمْرَةَ قنوةٌ فهو كميت، فإذا خلط الحمرة صفرة قيل: أحمر مدمى،...فإذا اشتدت الكمتة حتى يدخلها سواد فهي الرمكة، يقال: بعير أرمك، وناقة رمكاء، فإذا خالط الكمتة مثل صدأ الحديد قيل: ناقة جأواء، وبعير أجأى بين الجؤوة، فإذا خلط الحمرة صفرة كالورس، قيل: أحمر رادني، وناقة رادنية» (ص.129، 151). ويقول الثعالبي (2003) في ألْوانِ الإبِلَ: «إذَا لم يُخالِطْ حُمْرَةَ البَعِيرِ شَيْء فَهُوَ أَحْمَرُ، فإنْ خَالَطَهَا السَّوَادُ فَهوَ أَرْمَكُ... فإنْ خَالَطَتْ

حُمْرَتَهُ صُفْرَة وَسَوَاد فَهُوَ أَحْوَى. فإنْ كَانَ أَحْمَرَ يُخَالِطُ حُمْرَتَهُ سواد فهو أكلف» (ص.71).

والكتمة لون من الألوان توصف به الإبل، والخيل، فيقال: بعير كميت، وناقة كميت؛ إنْ خالط حمرتهما قنوء (الجوهري، 1987). يقول ابن فارس (1986): «(كمت): الكاف والميم والتاء كلمة صحيحة تدل على لون من الألوان من ذلك الكمتة، وهي لون ليس بأشقر، ولا أدهم...والكميت: الخمر فيها سواد وحمرة»(5/ 137). وعن سبب تصغير الكميت يقول الجوهري (1987): «الكميت من الخيل، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولونه الكمتة، وهي حمرة يدخلها قنوء، قال سيبويه: سألت الخليل عن كميت فقال: إنما صُغِّر؛ لأنه بين السواد والحمرة، كأنه لم يخلص له واحد منهما، فأرادوا بالتصغير أنه منهما قريب، والفرق بين الكميت والأشقر بالعرف والذنب، فإن كانا أحمرين فهو أشقر، وإن كانا أسودين فهو كميت» (ج1، ص.263).

ومن الألفاظ الوصفية الدالة على اللون الأحمر، الرُّمكة، وهو لون ناتج عن تمازج اللون الأحمر مع لون الورقة والسّواد أو الغبرة والرماد، يقال بعير أرمك، وناقة رمكاء، يقول الفراهيدي (د.ت): «والرُّمكةُ: لون في ورقة وسواد، ومن ألوان الإبل: النعتُ: أرمكٌ ورَمكاءُ» (ج5، ص.371). ويقول ابن دريد (1987): «والرَّمَك والرُّمكَة: من ألوان الْإِبِل، وَهُوَ أكدر من الورْقَة، جمل أرمَكُ، وناقة رَمْكاءُ...، وكل لونٍ خالطت غُبرته سواداً كَدِرًا فَهُوَ أرْمَكُ» (ص. 798). ووافقهما في ذلك من جاء بعدهما كالجوهري (1987)، وابن فارس (1986)، وابن سيدة (1996). وفي وصف اللون يوضح ابن منظور (1414) ذلك بقوله: «والرُّمْكة: لَوْنُ الرَّمَادِ، وَهِيَ وُرْقة فِي سَوَادٍ، وَقِيلَ: الرُّمْكة دُونَ الوُرْقة، وَقِيلَ: الرُّمْكة فِي أَلوان الإبل حُمْرَةٌ يخلِطها سَوَادٌ، عَنْ كُرَاعٍ...والأَرْمَكُ مِنَ الإِبل: أَسودٌ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مُشْرَبٌ كُدْرة، وَهُوَ شَدِيدُ سَوَادِ الأُذنين والذُّفوف، وَمَا عَدَا أُذني الأَرْمَك وذُفُوفه مشرب كدرة..» (ج10، ص.434، 435).

ومن الألفاظ الوصفية للإبل الدالة على اللون الأحمر الشديد الحمرة، المدمَّى، وهو «الشديد الحُمرة في صفاء لون» (ابن جزي، 1986، ص.59)، وهو لون ناتج من تمازج اللون الأحمر مع الصّفرة، ولذا يقال: أحمر مدمى (الأصمعي،2003)، ويقول الجوهري (1987): «المدمى: الشديد الحمرة من الخيل وغيره. وكل أحمر شديد الحمرة فهو مدمى». وسُمِّي بالمدمَّى، لشدة حمرته، وسواده، وشبهه بالدم. ويقول ابن سيدة (2000): «المدمى من الألوان ما كان فيه سواد» (ج2، ص.410)

والكلفة: من الألوان التي وصفت بها الإبل الحمر، إذا ما خالطها لون آخر «وهو لون يعلو الجلد، فيغير بشرته، وبعير أكلف يكون في خديه سواد خفي» (الفراهيدي، د.ت، ج5، ص. 3729. يقول الأصمعي (2003) في لون البعير: «إذا كان شديد الحمرة يخلط حمرته سوادٌ ليس بناصع، فتلك الكلفة، يقال: بعير أكلف، وناقة كلفاء» (ص. 147،146). والكلف عند الجوهري (1987): «شئ يعلو الوجه كالسمسم. والكَلَفُ: لونٌ بين السواد والحُمرة، وهي حُمرةٌ كدرةٌ تعلو الوجه. والاسمُ الكُلْفَةُ، والرجلُ أكْلَفُ. ويقال: كُمَيْتٌ أكْلَفُ، للذي كَلِفَتْ حمرته فلم تصف، ويرى في أطراف شعره سوادٌ إلى الاحتراق..» (ج4، ص.423).

وذكر ابن منظور (1414)خلاصةً لما قيل في لون الكلفة، فقال: «الكَلَف والكُلْفَةُ: حُمْرة كَدِرة تعْلُو الْوَجْهَ، وَقِيلَ: لَوْنٌ بَيْنَ السَّوَادِ وَالْحُمْرَة، وَقِيلَ: هُوَ سَوَادٌ يَكُونُ فِي الْوَجْهِ، وَقَدْ كَلِفَ. وَبَعِيرٌ أَكْلَف، وَنَاقَةٌ كَلْفَاء، وَبِهِ كُلْفَة، كلُّ هَذَا فِي الْوَجْهِ خَاصَّةً، وَهُوَ لَوْنٌ يَعْلُو الْجِلْدَ فَيُغَيِّرُ بَشَرَتَهُ» (ج9، ص.307).

ومن الألوان التي وصفت بها الإبل الحمر؛ لون الجؤوة: يقال: ناقة جأواء، وبعير أجأى بين الجؤوة، إذا خالط حمرتهما، لونٌ مثل صدأ الحديد كالغبرة (الأصمعي، 2003، ص.147)، ووافقه في ذلك من جاء بعده كابن دريد والجوهري، وابن سيده وابن منظور والفيروزآبادي.

ومن الألوان التي وصفت بها الإبل الحمر؛ لون الرَّادني، وهو حمرة يخالطها صفرة، وقد أجمع العلماء على ذلك؛ إذ يُقَالُ لِلْبَعِيرِ إِذَا خَالَطَتْ حُمْرَتَهُ صُفْرَةٌ كالورس: هُوَ أَحْمَرُ رَادِينٌ، وَالنَّاقَةُ رَادِنِيَّةٌ (الأصمعي، 2003، ص.154). غير أن الفراهيدي (د.ت) قد خالفهم في الرَّادني، فجعله حمرة يخالطها السواد، فيقول: «والرَّادِنيُّ من الإبل: ما جَعُدَ وَبَرُه، وهو منها كريمٌ جميلٌ يضرِبُ إلى السَّواد شيئاً» (ج8، ص. 21)، وقد وافقه الأزهري (2001) في ذلك.

ومن الألوان التي وصفت بها الإبل الكهبة، وهي: «لونٌ مثل القهبة. يقال: بعيرٌ أكهب بين الكهب، وقد كهب. قال أبو عمرو: الكهبة: لون ليس بخالص في الحمرة، وهو في الحمرة خاصة» (الجوهري، 1987، ج1، ص. 215). ويقول ابن سيده (1996): «الكُهْبَة غُبْرة مُشْرَبة سَوَادًا فِي ألوان الْإِبِل خاصَّة، بَعِير أَكْهَبُ، وناقة كَهْبَاءُ، وَقد كَهُبَ ...والكُهْبَة لون إِلَى الغُبْرة كالقُهْبة..» (ج2، ص.156).

والخُور من الألوان التي توصف بها الإبل الحمر المائلة إلى الغبرة. يقول مرتضى الزبيدي (1965) عن ابن السكيت: «الخُورُ: الإبل الحُمْر إِلى الغُبْرة، رَقِيقَاتُ الجُلُود، طِوالُ الأَوْبَارِ، لَهَا شَعرٌ يَتَفُدُ وَبَرَها، هِيَ أَطْوَلُ من سَائِر الوَبَر، والخُور أَضْعَفُ من الجَلَدِ، وإِذا كانَت كَذلك فَهِيَ غِزَارٌ. وَقَالَ أَبو الهَيْثَم: ناقَةٌ خَوَّارَةٌ: رَقِيقَةُ الجِلْد غَزِيرَةٌ» (ج11، ص. 233).

ويقول ابن الأجدابي (د.ت): «الخُورُ: هِيَ الَّتِي تكون أَلوانُهَا بَيْن الغُبْرَة والحُمْرَة، وَفِي جُلُودِهَا رِقَّة، يُقَال: ناقَةٌ خَوَّارَةٌ» (ص.96).

يتضح مما تقدم أن الإبل ذات اللون الأحمر، وصفت بألفاظ لونية، عديدة، فقيل: ناقة جرشية، أي: حمراء، وبعير أحمر،... وأن هناك ألوانًا أخرى، وصفت بها الإبل الحمر، تألفت من تمازج اللون الأحمر مع ألوان أخرى كالبياض والحمرة أو الغبرة أو الصفرة باختلاف نسبة كل لون إلى الآخر أو تساويها؛ كالمدمى والجؤوة والرداني، وأن هناك ألوانًا تألفت من تمازج السّواد والحمرة؛ كالأكلف والأكهب، والأحلس والحليس، والكميت، والأَرْمَكُ.

3. اللون الأسود من الإبل:

من الألفاظ الوصفية للإبل، الخاصة باللون الأسود الخالص، لفظ دجوجي الدال على شدة السواد؛ يقال: «بَعِير دَجُوجِيٌّ وَنَاقَةٌ دَجُوجِيَّة أَي شَدِيدَةُ السَّوَادِ. وَنَاقَةٌ دَجَوْجاةٌ: مُنْبَسِطَةٌ عَلَى الأَرض» (الجوهري، 1987، ج2، ص. 265)، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (د.ت): «الدُجَّةُ: شِدَّة الظُّلمة، ومنه اشتقاق الدَّيجُوج يعني الظلام، وليل دجوجي وسَوادٌ دَجُوجيٌّ وشَعرٌ دَجُوجيٌّ أيضاً»(ج6، ص.10).

والدهمة هي «السواد الخالص» (ابن جزي، 1986، ص. 58)، وهي لون من ألوان الإبل، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي (د.ت): «الأدهم: الأسود، وبه دهمة شديدة» (ج4، ص.31). والأدهم: البعير الذي يميل لونه إلى السواد، وهو الذي اشتدت وُرقته حتى يذهب بياضه، وتسمى الناقة دهماء. (الأصمعي، 2003، ص.146).

وفي جذر اللفظ يقول ابن فارس (1986): « الدَّالُ وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى غِشْيَانِ الشَّيْءِ فِي ظَلَامٍ، ثُمَّ يَتَفَرَّعُ فَيَسْتَوِي الظَّلَامُ وَغَيْرُهُ يُقَالُ: مَرَّ دَهْمٌ مِنَ اللَّيْلِ، أَيْ طَائِفَةٌ. وَالدُّهْمَةُ: السَّوَادُ. وَالدُّهَيْمَاءُ: تَصْغِيرُ الدَّهْمَاءِ، وَهِيَ الدَّاهِيَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِإِظْلَامِهَا» (ج2، ص.307).

والغيهب: شدة السواد والظلمة، يقول الخليل الفراهيدي: «جمل غيهب: مظلم السواد» (الفراهيدي، د.ت، ج3، ص. 360).

وعن اللون الأسود وتمازجه مع ألوان أخرى كالورقة، والشُّوْم، والجون، يقول الأصمعي (2003) في كتابه (الإبل): «إذا كان لون البعير أسود يخلط سواده بياض كأنه دخان رمثٍ، وكان البياض في بطنه ومراقه وأرفاغه، وكان السواد غالبه فتلك الوُرْقَة، وهي ألأم الألوان، ويقال إن بعيرها أطيب الإبل لحمًا، فإذا اشتدت ورقته حتى يذهب البياض فهو أدهم، وناقة دهماء وهي الدهمة، فإذا اشتد السواد عن ذلك فهو جون، وناقة جونة، وإبل جون وجونات...» (ص. 127، 128).

الوُرْقَة لون من الألوان التي توصف بها الإبل، وهو ألأم الألوان، وهو أتم ألوان الإبل عند العرب، وقد شبه الأصمعي (2003) البعير الأسود (الأورق) الذي يخالط سواده بياض بدخان الرَّمث، مشيرًا إلى أنه يقال: إن بعيرها أطيب الإبل لحمًا، يقول الجوهري (1987): «الأُوْرَق من الإبل: الذي في لونه بياض وسواد». وقد ذكر ابن دريد (1987) «أن الوُرْقَةَ: غبرة تضرب إلى سواد، جمل أُوْرَق، وحمامة ورقاء، والجمع وُرْقٌ» (ج2، ص. 796).

ومن الألوان التي توصف بها الإبل السُّود، لون الشُّوْم أو الشِّيم. يقال: الشُّؤْمُ: السُّودُ مِنَ الإبل، والهجانُ: بِيضُهَا (الأصمعي، 2003، ص.79). ويقول الأزهري (2001): «الشَّامة: النّاقة السَّوْدَاء، وَجَمعهَا شام، والشِّيمُ: الْإِبِل السُّود، والحِضار الْبيض» (ج11، ص.299).

وتوصف الإبل السود بالجون، يقول الفراهيدي (د.ت): «الجَونُ: الأسود. والأنثى: جَونة، والجميع: جُونٌ. ويقالُ: كلُّ بعيرٍ، وحمار وحش. جَونٌ من بعيد. وعينُ الشَّمس تُسمىَّ جَونة. وكل لونٍ سوادٍ مُشربٍ حُمرةً: جَون، أو سوادٍ مخالطُهُ حمرة كلون القطا» (ج6، ص.185). وقد أطلق الأزهري (2001) على ما يخرج من سواد حمم البراكين جونًا، فقال: «الجون الأسود اليحمومي» (ج11، ص.139). وهو عند ابن سيدة (2000) «الأسود المشربُ حُمرةً» (ج7، ص. 555). والمتعارف عليه عند أهل اللغة قاطبة أن الجون من الأضداد، يقع على الأسود والأبيض (ابن فارس، 1986م، ج5، ص.137).

ويوصف البعير بالأشكل، إذا خالط سواده حمرةٌ أو غبرةٌ، أوحمرة وبياض، يقول ابن سيدة (2000): «الأَشْكَلُ من الْإِبِل وَالْغنم الَّذِي يَخْلِط سوادَه حمرةٌ أَو غُبْرة، كَأَنَّهُ قد أشْكَل عَلَيْك لونُه. والأَشْكَلُ من سَائِر الْأَشْيَاء الَّذِي فِيهِ حُمْرة وبَيَاض، قد احْتَلَطَ. وَاسم اللَّوْن الشُّكْلَة، وَمِنْه الشُّكْلة فِي الْعين... وَفِيه شُكْلة من سُمْرة، وشُكْلة من سَواد» (ج2، ص.156، 157). والشكلة عند ابن فارس (1986) «حمرة يخالطها بياض. وعين شكلاء، إذا كان في بياضها حمرة يسيرة. قال ابن دريد (1986): ويسمى الدم أشكل، للحمرة والبياض المختلطين منه» (ج1، ص.496).

يتضح مما تقدم أن الإبل ذات اللون الأسود، وصفت بألفاظ لونية، كالدجوجي، والدهمة والغيهب للشديد السواد، وأن هناك ألوانًا أخرى، وصفت بها الإبل ذات اللون الأسود، تألفت من تمازج اللون الأسود مع ألوان أخرى كالبياض والسّواد، أو الحمرة أو الغبرة باختلاف نسبة كل لون إلى الآخر أو تساويها؛ كالأورَق، والأشكل، والجون.

ونختم المبحث بذكر ما قيل في أوصاف الإبل حسب ألوانها مجملًا، فقد جاء في محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني: «قال حنيف الحناتم: وكان آبل الناس الرمكاء، نهيّة تصغير نهية، والحمراء صبراء، والحمراء غزراء، والصهباء سرعاء. وفي الإبل أخرى إن كانت عندي لم أبعها، وإن كانت عند غيري لم أشترها؛ لأنه لا يبيعها إلا العيب.

وقال أبو نصر النعامي هجّر على حمراء، وأسر بورقاء. وصبّح القوم على صهباء.

قيل: ولم ذاك؟ قال: لأن الحمراء أصبر على حرّ الهواجر، والورقاء على السرى، والصهبة أحسن الألوان حين ينظر إليها.

وقيل: ورق الإبل أصفاها، والصهب أنقاها، والدهم أبهاها، والحُمر أضناها، أي أكثرها ولدًا، والأدم أوضؤها، والرمد أوطؤها» (الأصبهاني، 1420، ج2، ص.690).

ومما قيل في أَوْصَافِ أَلْوَانِ الإبل، ما ذُكره ابن الأجدابي (د.ت) في كتاب: (كِفَايَة المُتَحَفِّظ): «قَالُوا: الحُمْر مِنَ الإبلِ أَطْهَرُهَا جِلْداً، والوُرْق أَطْيَبُهَا لَحْماً، والحُورُ أَغْزَرُهَا لَبَناً. وَأَكْثر مَا

تكون النجابة في الْأدم والصهب. وَقد قَالَ بعضُ الْعَرَب: الرَّمْكَاءُ بَهْيَاءُ، والحَمْرَاءُ صَبْرَاءُ، والحَوَّارَة غَزْراءُ. وَقَالَت بَنو عبس: مَا صَبر مَعنا فِي حربنا من النِّسَاء الا بَنَات الْعم، وَمن الْإِبِل إِلَّا الْحمر، وَمن الْخَيل الا الكميت» (ص.96)، ولأهمية الإبل في حياة العربي، وأهمية ألوانها في نظرهم، فقد كان لإبراهيم بن هشام المخزومي في حمى ضرية من كل لون من ألوان الإبل ألف بعيرٍ. (السمهودي، 1973، ج3، ص. 1094). ومن هذا يتضح للباحث أن للعرب نظرة خاصة، ورؤى خاصة في تفضيل الإبل حسب ألوانها؛ لاعتقادهم بأن لكل لون تأثير خاص به، وفي اختيارهم للإبل الحمراء وقت الهجير، وتقديمها في الذكر عن غيرها دلالة على قوة تحملها لحرارة الشمس اللافحة في الصحراء وقت الهجير (الظهيرة). وإضافة إلى ذلك فقد أطلق العربي أسماءً لأبله تبعًا لألوانها؛ مع بعض الاختلاف في صفة اللون قليلا، انطلاقًا من بيئتهم الجغرافية، وذائقتهم الفنية في فَهمِهم لطبيعة الأشياء، وتمييزها عن غيرها.

المبحث الثالث: ألوان الإبل في الشعر العربي القديم

تفنن الشعراء في وصف جَمال ألوان إبلهم، فتعددت الألفاظ في ذلك بتعدد ألوانها؛ ما بين اللون الأحمر، والأسود، والأبيض، ومرادفاتهم، واللون الناتج عن أكثر من لون، ولكل لفظ أو لون دلالته الخاصة، فتوصلوا إلى فهم أسرار الألوان، وبرعوا في توظيفها في قصائدهم الشعرية، وهذا ينمّ عن فكرهم الواعي تجاه الإبل، ووصفهم لها، وإدراكهم أهميتها في الحياة العامة كافة، وسنتناول ذلك بالدراسة التحليلية وفقًا لما يأتي:

1. اللون الأبيض، ومرادفاته، وما خالطه من لون آخر:

تقدم القول بأن البياض ضد السواد، وهو أشرف الألوان، وهو أصلها، وهو قابل لجميعها، وهو غالبٌ في الإبل، ولهذا كان له وللألفاظ الوصفية الدالة عليه حضورٌ بارزٌ في الشعر العربي القديم، عبَّر بها الشعراء عن مدى إعجابهم بجمال إبلهم، ونياقهم، وكشفت تلك الألفاظ عن رؤاهم الفكرية، ووعيهم الجمالي والمعرفي لماهية اللون، وقيمته، ومدى نقائه، ودرجة تشعبه، وخواصه الفنية والدلالية، فاستخدموا الألفاظ الدالة على البياض للإبل، وما اختلط معه من لون آخر في سياقات موضوعية متعددة، مجسدين بذلك مظهرًا من مظاهر واقعية الرؤية الجمالية في عصرهم، وواقعهم، ومن تلك الألفاظ قولهم في الناقة والبعير أو الجمل: الأدماء و الآدَمُ، والأُدْم، والأدهم، والدهماء، والدُّهم، والهجان، والحِضار، والعيس، والأعيس والعيساء، والمغص، والأصهب والصهباء والصُّهب، والزُّرقة والزُّرق، والناعج، والناعجة، والنواعج، والناعجات، والأعفر والعفراء، والعُفر... وكل ذلك قد ورد في شعرهم، حسب الموضوع والغرض الذي نُظمت فيه القصيدة؛ للدلالة على النقاء والجمال.

لقد برع الشعراء العرب منذ الجاهلية في تشكيل تدرجات الألوان، والأبيض أبرزها، في بنية نصوصهم الشعرية؛ مما هيأ لهم ذلك إبراز جمالياته في السياقات الشعرية، وإثراء دلالاتها، «فجاء تآلف حروف الكلمة الشعرية مع تآلف الصورة الشعرية بألوانها عبر مجرى البصر، فتوحدت الألوان عند الشاعر الجاهلي ببعديها: الجمالي والفني، وآمن بأن الشعر مجموعة من الرموز والانطباعات الذهنية التي توحدت في ذاته، وتآلفت عن طريق الإيحاء بالكلمات، حينها تحول الشعور عنده إلى لون وصورة شعرية وانطباع ذهني، بل إلى رؤيا حدسية في دائرة الشعور». (الخريشة، 1423، ص.854). ولذا فالعرب تقول: إذا كَانَ البعير أَبْيَضَ ولم يخالطه شيءٌ من الألوان فَهُوَ آدَمُ، وللناقة أدماء، والجمع أُدمٍ، (الأصمعي، 2003، ص.146)، وفي ذلك يذكر عبيد بن الأبرص في سياق الفخر الناقة البيضاء التي تُسلي همَّه، وتخرجه من الأزمة التي يعاني منها إثر رحيل الأحبة؛ في إشارة منه إلى دلالة القوة والصبر والقدرة على التحمل، إضافة إلى دلالة التسلية معها، لكون رحلته مع تلك الناقة هي رحلة نجاة من الهموم، وتناسٍ لها؛ فيقول: (ابن الأبرص، 1414، ص.93)

لولا تَسَلّيكَ جُمَالِيَّةٌ أَدْمَاءُ دَامٍ خفها بَازِلُ

يطلق ابن الأبرص على الناقة البيضاء هنا لفظ (جُمَالِيَّة أدماء) تشبيها لها بالجمل، في قوتها، وصبرها، وشدة تحملها على الرغم من ضمورها، ونحافة جسمها، وليؤكد للمتلقي أيضًا نجابتها وجمال لونها؛ فهي أوضأ الإبل نقاءً وجمالًا وحُسنًا، وبالنظر إلى ما يتضمنه البيت الشعري من ألفاظ لونية وجدنا أنه قد تشاكل لون بياض الناقة (أدماء) مع لون دمٍ خفها؛ لكثرة سفرها؛ مما خلق صورة بصرية (لونية) لها ارتباط بنفسية الشاعر، وحالته الشعورية، وهي بذلك توحي بإحساس الشاعر بالراحة النفسية بنسيانه لهوه مع مَنْ سلبته عقله؛ وذلك من خلال تسليته بالناقة ذات اللون الأبيض، وباضطرام شوقه، وشدة المعاناة من خلال اللون الأحمر الدال عليه لفظ (دا) و (خفها بازل) أي ينزف من تشققاته دمًا بسبب طول السير؛ ولهذا استخدم الشاعر اللون الأبيض في هذا البيت للدلالة على الجَمال الذي يُلطِّف مشهد الدماء.

وهذا بشر بن أبي خازم، يرى أن رحلته مع الناقة التي وصفها بالأدماء هي رحلة نجاة من الهموم، والأحزان، وتناسي لها، فيقول: (ابن أبي خازم، 1972، ص.82)

بأدماء من سر المهارى، كأنها

بحربةَ، موشيٌّ القوائم مقفرُ

وتأتي الناقة الأدماء في سياق القسم، وهي التي تُنحر في مكة المكرمة للهدي، فيحلف بها بشر بن أبي خازم، دون غضاضة في ذلك؛ لأنه يرى في تلك الإبل البيضاء التي تنحر في مكة الطهارة، والقداسة، والخلاص، فيقول: (ابن أبي خازم، 1972، ص.8، 9)

حلفتُ بربِّ الداميات نحورها

وما ضمَّ أجوازُ الجِواءِ وَمِذْنَبُ

وبالأدم ينظرنّ الحِلال كأنها

بأكوارها وسط الأراكة ربربُ

فلون الإبل هو الأدم، الأبيض الصافي الذي لم يخالطه لون آخر، إذ إن هذا الصفاء اللوني فيها واضح من سواد عينيها؛ فهي بذلك أقرب ما تكون إلى قطيع البقر الوحشي (الربرب)، وإبل بهذا

الصفاء والطهارة في نظر الشاعر تستحق أن يحلف بها، وتستحق القداسة؛ لكونها الأنا والآخر، أو المثل الأعلى لدى الشاعر. (الخريشة، 1423، ص.869).

ويتفاخر أوس بن حجر بناقته البيضاء؛ لنجابتها وجمالها، ولما تتصف به من قوة ونشاطٍ وسرعة، وكمال الخلقة، مشبِّها إيَّاها في ذلك بالفحل: (ابن حجر, 1979، ص81)

وَأَدْمَاءَ مِثْلِ الْفَحْلِ يَوْمًا عَرَضْتُهَا

لِرَحْلِي وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَتَقَاذُفُ

ويوظف الشاعر ساعدة بن جؤية لفظ (أُدٌ) جمع أدماء في سياق الحكمة، والتعبير عن مدى خوف الإنسان في العصر الجاهلي من الموت الذي لن يستثني مخلوقًا، فلن يغني امرأً إذا ما جاء أجله ولدٌ، حتى وإن كان يملك الكثير من الإبل البيض الكرام، الكثيرة النتاج، والتي تقرقر (تهدر) الفحول في نواحيها طلبًا للضراب. إذ يقول: (قتلان، 2003، ص.208، والسكري، د.ت، ج3، ص.1143)

ومـــا يُغنِي أمـــرأً وَلَدٌ أَحَمَّتْ

مَنيَّتُـــه ولا مـــــالٌ أَثِيـــلُ

ولو أَمْستْ له أُدْمٌ صَفـــــايا

تُقَرْقِرُ في طَوائفهـــا الفحُول

وقد وصف الشاعر هنا النوق (الأد) بلفظ (صَفايا) أي: بأنها إبلٌ بيض كِرام. ويصف امرؤ القيس ناقته الطويلة الضامرة قليلة اللحم، التي اتخذها الأنيس والجليس في حله، وترحاله، بالبيضاء (أدماء)؛ إبرازًا لجمالها: (امرؤ القيس، د.ت، ص45)

وأدماء حرجوج كأن قتودهـا

على أبلق لكشحين ليس بمغرب

فناقة امرئ القيس التي يقطع بها الفيافي والقفار، هي بيضاء، حرجوجة؛ أي: الجسيمة الطويلة على وجه الأرض. والقتود: جمع قتد، وهو أداة الرحل، وأبلق الكشحين: أبيض الخاصرتين، والإغراب: بياض الأشفار و الوجه، فالمغرب: الذي تتسع غرته حتى تأخذ عينيه وأشفاره. و قيل: الإغراب: بياض الأرفاغ مما يلي الخاصرة. أو المغرب الذي كل شيء منه أبيض، وهو أقبح البياض. أي ليس بلقه بإغراب، يريد: كأن قتود هذه الناقة على حمار وحشي موصوف بما ذكره بهذا البيت، ولذا شبه الناقة بالحمار الوحشي؛ لشدّة نشاطها وسرعتها. (امرؤ القيس، د.ت، ص. 45)

ويستدعي كعب بن زهير الناقة البيضاء الكريمة في سياق مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي تحمله؛ وفي ذلك دلالة على مكانة الناقة الأدماء الخالصة البياض في حملها على ظهرها أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام، وهو يلف عمامته؛ وكأنه بدر أضاء ليلة الظلام، فالبياض هنا جاء في مقابل السواد، وبياض الناقة جاء ملائمًا لطبيعة المقام، والغرض الشعري الذي وُظِّفت فيه، ومنسجمًا معهما انسجامًا رائعًا، يدل على ذائقة شعرية في تقديرها الجمالي للمفردة الشعرية المناسبة، فاستخدم الألفاظ: (الأدماء، البدر، جَلّى)، وفي ذلك يقول كعب: (ابن زهير، 1997، ص. 92)

تَحمِلُهُ الناقَةُ الأَدماءُ مُعتَجِراً

بالبُردِ كَالبَدرِ جَلّى لَيلَةَ الظُلَمِ

إن جمالية اللون الأبيض للناقة في هذا البيت قد أتت محاطة بجمالية راكبها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال هيئة ركوبه عليها، وهو معتجرٌ بالبُرد كالبدر ضياءً ونورا؛ وهذه الصورة زادت من جمالية وإشعاع اللون الأبيض الصادر من شخصه صلى الله عليه وسلم، فاكتسب اللون قيمةً ولمعانًا؛ مما جعل المتلقي لا يهتم ببياض الناقة، وإنما بصورة بياض راكبها المشعة كالبدر؛ والتي عملت على إخفاء اللون الأسود (الظلمة)، وتحويل تلك الليلة الشديدة الظلام إلى ليلة أكثر إضاءة ولمعانًا ووضوحًا؛ ولهذا أظهرت الطبيعة الليلية المظلمة شدة نصاعة اللون الأبيض وتجليه، وبروزه كالبدر ليلة تمامه، وبذلك «تغدو الألوان لوحات طبيعية، تشكلها الظواهر الجغرافية المختلفة، فتحل الألوان محل هذه الظواهر» (الخريشة، 1423، ص. 860)، ولهذا اهتم الشعراء بالألفاظ اللونية الدالة على شدة البياض، والصفاء والنقاء والجمال، وهذا الاهتمام والعناية راجع إلى زيادة عنايتهم بمعاني تلك الألفاظ، كالأدماء، والحضار والهجان، والعيس، والناعج، وغيرها.

وتُسمّي العرب الإبل البيض الحِضارَ، يقال: ناقةٌ حِضارٌ، ويستشهدون بقول أبي ذُؤيب الهذلي: (الهذلي، 2014، ص.65)

فَمَا تُشْتَرَى إِلَّا بِرِبْحٍ، سِباؤُها

بَناتُ المخاض: شُومُها وحِضارُها

يصف الشاعر بنات المخاض من النوق بلفظ (الحضار) الدال على الإبل البيض الجميلة والفاخرة في سياق حديثه عن الخمرة المعتقة، وجودتها، وقيمتها المعنوية؛ وذلك ليظهر للمتلقي جمال الإبل اللوني؛ إذ إن «البياض الناصع صفة جمالية نمطية متكررة عند الجاهليين؛ لكون اللون الأبيض جمالية ترتبط بالإرث والمعتقد الجاهلي». (ربابعة، 1998، ص.13) وبأن (بَنات المخاض) ذات قيمة عالية لا تُشترى إلا بربح وفير؛ وذلك بسبب جمالها، وقوتها التي تتجلى في ألوانها (الشيم: اللون الأسود)، و(الحِضار: اللون الأبيض). ولذا فإن اللون الأبيض أو الأسود لم يكن هنا لمجرد الوصف الظاهري، بل إنهما يحملان دلالات ثقافية عميقة تُعلي من شأن هذه الإبل، وتجعلها مرغوبة فيكثر طلبها من أي شخص، وفي هذا المعنى تبرز الدلالة الاجتماعية والاقتصادية للإبل بلونيها الأسود والأبيض.

والناقة عند المخبل السعدي بيضاء؛ ولشدة نصاعة لونها الأبيض، وصفائها واستوائها، شبهها بالبردي، ليظهرها للمتلقي في أنصع صورة، باهية اللون والجمال، وذلك في قوله: (الضامن، 1990، ص. 71)

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النَّعِيمُ بها أَقْرَانَهَا وغَلا بِها عَظْمُ

استعمل الشاعر اللفظ اللوني (بردية) في وصف ناقته؛ للدلالة على الاعتناء والاهتمام بها؛ مما جعلها تتفوق على غيرها من النوق في جمالها ونعيمها؛ وهذا التفوق يعكس تفردها، وعلو مكانتها؛ إذ تُعد الناقة البردية من أجمل النوق، وأكثرها قيمة في الثقافة العربية، فلفظ (بردي) في النص علامة على التميز؛ لكون الشاعر من خلاله ربط البياض بالجمال والنبل؛ ويوحي هذا اللون إلى النعمة والرخاء، كما يُفهم من سياق البيت الشعري.

ويقال للنوق البيضاء الخالصة البياض، هجانٌ، يقول ابن سيده (2000): «الهِجانُ من الإبل البيضاءُ الخالصةُ اللونِ والعِتْق، والهجانُ: الإبلُ البِيضُ الكرامُ»، وقد وظف الشاعر عمرو بن هميل اللحياني لفظ الهجان في سياق الفخر بقومه بني لحيان في الجاهلية، وانتصارهم، حين غاروا على خزاعة وبني بكر في يوم غزال؛ طلبًا لثأرهم منهم، وحرصهم على أخذ الإبل البيض الكرام (الهجان)، والخيار السمان، وفي ذلك يقول: (السكري، د.ت، ج2،ص.815)

فَقَتْلاً بقَتْلانَا وسُقْنَا بسَبْيِنَا

نسَاءً وَجِئْنَا بالهجَانَ المرَعَّل

يعزز الوصف اللوني للإبل بلفظ (الهجان) فكرة الجمال الفائق والتفرد والتميُّز في الصفات الجسدية الجمالية على دونها من الإبل؛ وهو لفظ لا يكون إلا في المدح والفخر، والنسيب والتغزل؛ إذ إن اللون الأبيض الناصع يُعدُّ علامة على التميز والجمال، وأيضًا دلالة رمزية للشجاعة والانتصار في الحروب، وللقوة والغلبة؛ ما يجعل الفرد يتفاخر به، كما في هذا البيت، وفي غيره كقول حسان بن ثابت: (ابن ثابت، 1994، ص.220)

فساروا إليهمْ بأثقالهمْ على كلّ فحلٍ هِجانٍ قَطِمْ

والفحل الأبيض القَطِمُ هو الفحل الشديد القوي الذي يشتهي الضراب، فإلى جانب التفاخر بجمال لونه، وهنا سمة القوة والعنفوان، حيث يصعب الانقياد خاصة حين يشتهي الضراب.

ومن توظيف لفظ الهجان في سياق النسيب، والغزل بالمحبوبة؛ لجمالها، الحسي والمعنوي، ما جاء في قول كثير عزة: (كُثير، 1971، ص162)

ودَدتُ وبيتِ اللهِ أنّكِ بَكرَةٌ

هِجانٌ وأنّي مُصعبٌ ثمّ غَرْبُ

فقد جاء لفظ الهجان؛ ليعكس الشاعر كُثير عزة في هذا البيت جمال محبوبته ونقاءها في عينه؛ إذ يتمنى بأن تكون محبوبته (عزة) لشدة جمالها ناقةً بيضاء حسنة اللون، وهو فحلٌ؛ لكونهما في ريعان الفتوة والشباب، ويتمتعان بالقوة والنشاط والحيوية، التي تمكنهما من الهروب دون أن يستطيع أحد صدهما، أو اللحاق بهما، ومنعهما من ذلك؛ وبذلك فإن اللفظ اللوني هنا يرمز إلى دلالة الحاجة والمنفعة، التي تظهر فيها حاجة الشاعر إلى لقاء محبوبته، والقرب منها، والعيش معًا دون أي خوف من أحدٍ.

وقد وظّف بعض الشعراء أكثرَ من لفظٍ دالٍّ على الإبل البيضاء في البيت الواحد، في سياق الغزل، التغزل بالمحبوبة، ووصف محاسنها الحسية والمعنوية؛ وما ذلك إلا للتأكيد على جمالية لون الإبل التي تنجذب إليها عين الرائي لها، فتثير في نفسه الإعجاب بمظهرها اللوني، والجسدي، كما في قول عمرو بن كلثوم: (ابن كلثوم، د.ت، ص.60)

ذراعَي عيطلٍ أدماء بَكْرٍ هجانِ اللونِ، لم تقرأ جنينا

يظهر للباحث في البيت أعلاه أن اللون الأبيض، وما تتميز به محبوبته من صفات النعومة والجمال الحسي والمعنوي، هو الذي لفت نظر الشاعر ابن كلثوم إلى أن يشبهها بالنوق البيضاء التي لم تحمل قط: (أدماء- هجان)، أي: بيضٌ خالصة البياض؛ إلى جانب ما يتَّسمن به من سمنةٍ، وتوظيف الشاعر هذه الألفاظ اللونية في وصف جمال وحسن محبوبته تكشف عن براعته في التعامل مع هذا اللون الأبيض، ومدلولاته؛ لكونه يدرك أنه الأفضل في إبراز الصفات الجمالية للمحبوبة.

ونحو ذلك في قول الفرزدق في مطلع قصيدته المديحية لعبدالرحمن بن عبدالله بن شيبة الثقفي، وأمه أم الحكم ابنة أبي سفيان: (الفرزدق، 1987، ص.340)

إذا ما أَتاهنّ الحبيب رشفنه

كرشف الهجانِ الأدم ماء الوقائع

يستلهم الشاعر من صورة النوق البيض (الهجان الأد) التي ترشف الماء بعد عناء السفر، ومواجهة الصعاب؛ صورةً شعريةً غنيةً بالدلالات العاطفية والرمزية؛ حيث يُصوّر لقاء الحبيب بمحبوبته بلحظة عذبة تشبه رشف الإبل البيض، تعبيرًا عن الشوق والرقة، وكأن الحبيب يرشف من معين الحب والوداد، وهذه الصورة تحمل دلالات التعب والكفاح، ولكنها أيضًا تعكس لحظة ارتواء ونشوة بعد مشقة؛ مما يعمق دلالة اللقاء العاطفي بين الحبيب ومحبوبته، وكأنه ارتواء من عذوبة الحب بعد معاناة الفراق؛ فيمتزج الشوق بالصبر، واللقاء بالارتواء بعد التعب.

وفي قول النابغة الجعدي: (الجعدي، 1998، ص.129)

حَنِيْنَ الهجَانِ الأُدْمِ نَادَى بِوِرْدِهَا

سُقَاةٌ يَمُدُّوْنَ المَوَاتِحَ بالدِّلا

حيث جاء لفظ الهجان مضافًا إلى الحنين، ثم موصوفًا بلفظ الأدم؛ وفي هذه الإضافة والوصف يبرز الجمال اللوني والصوتي السمعي للفظ الحنين، وتعالقه مع الألفاظ ذات الدلالة اللونية الجمالية للإبل الكريمة البيضاء؛ التي شاب بياضها صفرة، وفي جمال ذلك يقول الشمشاطي (1976) في كتابه (الأنوار ومحاسن الأشعار):»وإذا رَجَّعت الإبلُ الحَنينَ كان ذلك أحسنَ صوتٍ يَهتاجُ له المُفَارِقُون، كما يَهْتَاجُون لِنَوْح الحَمَام، ولِلَمْع البُرُوق، وهُبُوب الرِّياحِ من نحو أَرضِ الحبِيبِ» (ص. 186). إضافة إلى أن

هذا الوصف اللوني للإبل أيضًا يعكس المكانة الاجتماعية العالية لها عند العربي القديم، وما زالت كذلك عنده حتى اليوم؛ لأنها كانت تُعدُّ من علامات الثراء والنبل، إضافة إلى أن لفظ (حنين) وترابطه بالألفاظ اللونية (الهجان الأد)، مع علاقتهما الدلالية بالجملة (نادى بوردها) يمنح السياق إيحاءً خاصا يرمز إلى دلالة الحاجة والمنفعة.

ونحو ذلك في تشبيه الأخطل لجمال المرأة ومشيها، بمشي وجمالِ تلك الإبل الكريمة بيضاء اللون: (الأخطل، 1994، ص. 31)

يَمْشِيْنَ مَشْيَ الهِجَانِ الأُدْمِ يُوْعِثُهَا

أعْرافُ دَكداكَةٍ مُنْهالةِ الكُثُبِ

ومثله قول الراعي النميري: (النميري، 1980، ص.30)

يَمْشِيْنَ مَشْيَ الهِجَانِ الأُدْمِ أَقْبَلَهَا

حَلُّ الكُؤُوْدِ هِدَانٌ غَيرُ مُهْتَاجِ

ويشبه النابغة الذبياني النوق(العيس العتاق) الكريمة حسنة اللون، خالصة البياض، وهي تقطع الفيافي، والهضاب، بالغزلان البيض(هِجان المها) في جمال لونها، وروعنه، ونقائه، وخفة سرعتها، وقوتها، فيقول: (الذبياني، د.ت، ص. 119)

حِباؤُكَ وَالعيسُ العِتاقُ كَأَنَّها

هِجانُ المها تُحدى عَلَيها الرَحائِلُ

نستشف من لفظ (حباؤك) المتصل بالضمير (كاف المخاطب) أن سياق البيت هو خطاب في الممدوح، وإظهار خصاله الكريمة، ولذا اختار الشاعر أن يأتي بعد اللفظ الإخباري (حباؤك) الدال على العطاء والهبة، بلفظ العيس العتاق، لما يتميز به هذا اللفظ (العيس) من جمال في اللون، وجمال في النسب (العتاق)؛ وذلك لأن الإبل البيض الكرام هُن من أفضل ما يمتلكه العربي من مال وثروة؛ ثم ليتناسب هذا الوصف مع صفات الممدوح الخُلقية والخلقية، كبياض قلبه، ونقائه، ثم سرعته في العطاء، والهبات، وغوث الملهوف، فهو ابن الكرام حسبًا ونسبًا، وغير ذلك من الصفات، حيث كان الممدوح يهب كرام الإبل برحالها.

ويأتي لفظ العيس عند عبيد بن الأبرص في معرض تفاخره بذاته، وبصفات ناقته ذات اللون الأبيض، التي يتخذها للصيد؛ لسرعتها ونشاطها، فيشبهها بالنعام في سرعة حركته، ونشاطه : (ابن الأبرص، 1414، ص.84)

وَالعيسُ مُدبِـــــرَةٌ تَهوي بِأَركُبِهـــــا

كَأَنَّهُنَّ نَعـــــامٌ تُقَّرٌ مُعُطُ

وبالنظر إلى الصورة التي استدعاها الشاعر لناقته البيضاء: (كَأَنَّهُنَّ نَعامٌ تُقَّرٌ مُعُطُ)؛ للدلالة على السرعة والنشاط، فإنه يريد –إلى جانب صورة جمال لونها الأبيض– أن يضيف إليها صورة أخرى وهي الضمور والامتلاء في آنٍ معًا، من خلال تأكيده بأن هذه النعام قد نُتِف ريشها، فتبدو ضامرة، هزيلة، منكمشة، كالإبل شديدة بياض وبرها، فتبدو كأنها بلا وبر. (الرشيدي، 2010، ص110)

ويتخذ طرفة بن العبد لفظ (العيس) بدلالته على اللون الأبيض، معادلًا فنيًّا لجمال ونقاء قلبه أمام من لم يستطع أن يبوح لها بعشقه، وهواه لها، فيشبه ذاته بالإبل البيضاء الكريمة، الظامئة، والماء على ظهرها تحمله، لكنها لا تستطيع أن تنال منه شيئًا، فاللون الأبيض هنا رغم ما يعكسه من جمال في عين الرائي له، هو جمالُ تلك النوق، وهو ما قد يميزها، ويجذب النفوس إليه، لكنه على الرغم من كل ذلك لم يشفع لها في أن تجعل حاديها يسقيها من الماء المحمول على ظهرها؛ مما يعكس الدلالة على الحاجة والمنفعة الشديدتين لأجل الحياة والعيش والبقاء، وفي ذلك يقول طرفة: (ابن العبد، 2000، ص.123)

كالعِيسِ في البيداءِ يقتُلُها الظَّمَا

والماءُ فوقَ ظُهُورِها مَحمولُ

ووفقًا لسياق هذا البيت بالبيت الذي قبله الذي يشير إلى قرب الحبيب وصعوبة الوصول إليه، فإن الشاعر طرفة بن العبد هنا يلبس وجده ثوب إبله كناية عن العاطفة الطاغية، فالإبل لا يقتلها ظمأ إلى الماء، وإنما يقتلها الوجد بمن هو أمامها، ولا تدرك منه اهتمامًا أو رعاية، وما الإنسان في ثقافته العربية سوى ذلك العيس في عشقه الذي يحجب حياؤه الفطري عنه معشوقه وهو بين يديه. (الكردي، 2024، المجلة العربية: https://www.arabicmagazine.net/arabic/ArticleDetails.aspx?id=9817#).

ويؤكد الراعي النميري في سياق الوصف، بأن الإبل العيس هي خيرٌ بقية معهم في أماكن الوعرات، والصعوبات وساحات الوغى، من بقية الأشياء كالدروع، أو الحيوانات كالإبل والخيول في اتخاذها وسيلة للانطلاق بها في تلك الساحات، وللصيد؛ وذلك لسرعتها، ولقصر قوائمها، ولنشاطها، ولصمودها، إذ يقول: (النميري، 1980، ص.21)

إنّا وَجَدنا العيسَ خَيراً بَقِيَّةً

مِنَ القُفعِ أَذناباً إِذا ما اِقشَعَرَّتِ

لقد استخدم الشاعر المفردة اللونية (العيس) في هذا البيت الذي جاء استهلالًا للقصيدة؛ مستعملًا أداة التوكيد (إنَّا) والفعل (وجدنا)؛ ليثير القارئ، ويلفت انتباهه إلى تلك المفردة اللونية التي يريد بها وصف تلك النوق البيضاء، وما تتميز به من جمال حسي ومعنوي، ولعل الشاعر يريد أن يجعل من الإبل البيضاء (العيس) رغم صغر قوائمها، رمزًا على الصبر، وتجاوزها الفيافي والأماكن الوعرة، بسرعة فائقة، تفوق سرعة الشاة (القفع)؛ لكونها أصبر الحيوانات الأليفة على الجوع والعطش، والكدح، وسوء الأحوال.

والإبل الناعجة: الإبل البيضاء الحسنة اللون، الخالصة شديدة النقاء، يقال: ناقَةٌ ناعِجَةٌ: حَسَنَةُ اللَّوْنِ كَرِيمَةٌ، وهي

التي يصاد عليها نعاج الوحش؛ لسرعتها، وخفتها، والنواعج من الإبل: السراعُ. والنعج: الابيضاض الخالص. (الفراهيدي، د.ت، وابن سيده، 2000، وابن عباد، 1994). وقد جاء هذا الوصف اللوني البراق للإبل في الشعر العربي القديم بصيغة الجمع (نواعج، وناعجات)، من ذلك استعمال عبيد بن الأبرص للفظ اللوني (الناعجات) وهن الإبل ذات اللون الأبيض البراق؛ للدلالة على الوصف الجمالي الحسي والمعنوي للنساء الراحلات- فهن (كواعب بيضُ)- واللائي في هوادجهن على تلك الإبل الناعجات؛ وتساويهن -أوانس وأبكارا- في جمالهن المشرق الناصع البياض، وفي جمال حديثهن، وطيبه الذي يؤنس له، وفي وصف أئدائهن بالكواعب، إذ يقول: (ابن الأبرص، 1414، ص.75)

وفوق الجِمالِ الناعجات كواعبٌ

مخاميصُ أبكارٌ أوانسُ بيضُ

فقد جاء اللفظ الدال على اللون الأبيض (الناعجات)؛ ليثير الدهشة والإعجاب بالجمال الخُلُقي والخَلقي لتلك النساء الرواحل في نفسية القارئ أو المتلقي، إضافة إلى أن اللون الأبيض فيه دلالة على الحاجة والانتفاع بتلك النوق في الأسفار، والتنقلات.

ومثل ذلك يأتي اللون الأبيض (الناعجات) عند الشاعر ذي الرمة وصفًا للإبل في قدرتها على تحمل شدة حر الصحراء في أثناء الرحلة من وهج الشمس المحرقة، وقدرتها على تجاوز وقطع المسافة البعيدة؛ بكل قوة وصبر وعزيمة، ويصف الناعجات بصفة الأدم لزيادة تأكيد جمالها اللوني، وإشراقه، إذ يقول: (ذو الرمة، 1982، ص. 881)

ترى الناعجات الأدم ينحى خدودها

سوى قصد أيديها سعار مكافح

وجاء ذكر الناقة الصهباء؛ لكونها «من الإبل الجيدة الشريفة في نظر العرب» (علي، 2001، ص.10)، في سياق الفخر بقوة تلك الناقة، وبعظم جسمها وضخامته، والذي يشبه السفينة أو الجبل في ارتفاعه وصلابته، وبكرمها في النتاج المكتمل القوي خلقةً وبُنيةً؛ لإتمامها الحمل، فزادت على أيامها، وهذا أكرم للولد، وذلك في قول حميد بن ثور الهلالي: (الهلالي، 2010، ص.268)

وَصَهْبَاءَ مِنْهَا كَالسَّفِينَةِ نَضَّجَتْ

بِهِ الْحَوْلُ حَتَّى زَادَ شَهْراً عَدِيدُهَا

إن وصف الناقة باللفظ اللوني (صهباء)، وهي البيضاء تضرب إلى الحمرة، في هذا البيت هو «من علامات الكرم؛ لكونها نضجت، أي: أتمت الحمل، وزادت على أيامها، وهو أكرم للولد». (الصُحاري، 1999، ج1، ص. 148). ويفصح الفعل (نَضَّجَتْ) أن الناقة هنا تحمل دلالة رمزية على الخصب والنماء.

ويأتي لفظ (صهباء) في سياق الفخر الذاتي؛ من خلال قوة الناقة وسرعة حركتها في قطع المسافات البعيدة، كما في قول عبيد بن الأبرص: (ابن الأبرص، 1414، ص.27)

قَطَعتُ بِصَهباءِ السَراةِ شِمِلَّةٍ

تَزِلُّ الوَلايا عَن جَوانِبِ مَكروبِ

فقد وصفَ الشاعر عبيد بن الأبرص ناقته بالصهباء؛ للدلالة على الجمال اللوني في بياضها الذي يشوبه الحمرة، وللدلالة على الخفة والسرعة في قطع الفيافي والصحاري الموحشة، وسرعتها أدعى إلى نجابتها، وإلى ترجمة العلاقات الحميمة التي تربطها بصاحبها. وهذه دلالات ترمز إلى منفعة الشاعر بهذه الناقة، وحاجته إليها في قطع تلك الصحاري وتجاوزها للوصول إلى هدفه، وتحقيق غايته.

ونحو ذلك يفخر الشاعر جعفر بن علبة الحارثي بإبله، وقدرتها على تحمل الصعاب؛ مما يجعلها رمزًا للقوة والتحمل في البيئة الصحراوية، كما في قوله: (المحاسنة، 2001، ص.281)

وسيري مع الفتيـــان ظِلَّ عشيَّـةٍ

أباري مَطَـايَاهُم بِصَهْبَاءَ سَيْلَقِ

إذا كَلَحَتْ عن نَابِها مجَّ شِدْقُها

لُغامًا كَمُحِّ البيضـــــةِ المتَرَقرِقِ

وأَصْهَبَ جَوْنِي كأنَّ بُغَامَـــــهُ

تَبَغُّمَ مطـرودٍ من الوحش مُرْهَقِ

بَرَى لحمَ دفَّيهِ وأدمى أظلَّهُ اجْ

تِيَابِي الفيافي سَمْلَقًا بعد سَمْلَـقِ

يصف الشاعر الحارثي في هذه الأبيات الإبل وصفًا دقيقًا، مع التركيز على لونها (صهباء- أصهب)، وسرعتها وقوتها (سيلق)؛ مما يعكس الوصف دلالات عميقة مرتبطة بالصحراء والحياة البدوية، خاصة بجمالها وقوتها، فاللون الأصهب يدل على النقاء والجمال المميز، أما السرعة فتدل على الفخر بقوة الإبل، وقدرتها على التحمل، ولشراستها عندما تُسرع، تخرج الرغوة (لغا) من أفواهها دليلًا على الجهد الكبير الذي تبذله أدْمَتْ حوافرها من شدة سرعة السير؛ ولهذا شبه بياض رغوته بالبيضة، وهذا التشبيه ببياض البيضة يعطي صورة جمالية لهذا المشهد؛ مما يجمع بين القوة والجمال.

وكانت العرب -عادة- تتفاءل باللون الأبيض، ولهذا وصفوا نياقهم به، وأكثروا من ذكر الألفاظ الدالة عليه، وفي ذلك يقول قيس بن عيزارة في النوق البيضاء، وجمالها: (السكري، د. ت، ج3، ص.75)

كُتِبَ البياضُ لها وُبُـــورِكَ لَوْنُهَـــا

فعيُونُها حتّى الحواجِب سُـــودُ

كُتِب: أي خُلِقَتْ بِيضاء، أي قُدِّر ذلك لها، وجعل في ألوانها البركة، فما ملأ عينيها من حدقتها حتى ينتهي إلى حاجبها أسود؛ لأن عين البقرة سوداء كلها. (السكري، د. ت، ج3، ص. 75)

ويستلهم الفرزدق من اللون الأبيض صورة الانكسار في هجاء الحجاج بن يوسف الثقفي، وذلك حين يصف البُدن للهدي بالبيض في قوله: (الفرزدق، 1987، ص.228)

وَإِن كانَ قَد صَلّى ثَمانينَ حِـــجَّةً

وَصامَ وَأَهدى البُدنَ بيضاً خِلالُها

إن اللون الأبيض في سياق هذا البيت، –وإن كان غالبًا وفقًا للنصوص السابقة يدل على الصفات الإيجابية– يحمل دلالات سلبية، تكمن في مشهد نحر الإبل، الذي يعكس حجم الألم والمعاناة المرتبطين بنحر الإبل البيضاء وامتزاج لون الدم الأحمر مع اللون الأبيض، هذه الصورة البصرية التي تعبر عن انكسار وهزيمة مادية وروحية، تجسدت عبر صيغة (وإن كان)، حيث بنى الشاعر فكرته على الصورة اللونية التي تميزت بدلالاتها السلبية، وفي هذا النص، يؤسس الفرزدق لقيمة سلبية اتصف بها ما هجوه الحجاج الثقفي، قوامها الخوف والتوجس، فاستلهم من اللون الأبيض طاقته في تشكيل صورته الشعرية، مقرنًا إياها بمعطى فكري ونفسي، يتبلور سريعًا لدى المتلقي، الذي يدرك الصورة، وكأنها لوحة مرئية تتراءى أمام عينيه.

يتضح مما تقدم أن اللون الأبيض بكل مرادفاته قد أكثر الشعراء من وصف نياقهم به، ولما يتميز به من جمال لوني واضح، وبراق، حيث جاءت كل الألفاظ الدالة عليه في وصف الإبل أو النوق لدى الشعراء في سياقات أبياتهم الشعرية متعددة الموضوعات كالفخر والمدح والنسيب والغزل، ووصف رحلة الظعينة، دالة على صفات الجمال والهيبة، والعظمة، والضخامة والقوة والصبر، والنشاط والحركة، والقدرة على تجاوز المسافات الطويلة؛ كل ذلك من أجل أن يمنحها الشاعر هالةً من التقدير والاحترام، ويضفي عليها عناصر الجمال، والقوة والصلابة، إضافة إلى ذلك فقد جسّد اللون الأبيض في الشعر العربي القديم مظهرًا من مظاهر واقعية رؤية الشعراء الجمالية للإبل في عصرهم، واستثمار ذلك في التعبير عن كل ما له علاقة بجمالية ذلك اللون الأبيض البراق، فكشفوا من خلاله عن وعيهم لجمالية الألوان، وعبروا عن أحاسيسهم ورؤاهم في إطار بيئتهم وواقعهم الاجتماعي والثقافي وغيره.

2. اللون الأحمر، ومرادفاته، وما خالطه من لون آخر:

الإبل الحمُر «هي أنفس أموال العرب، يَضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه» (عويضة، د.ت، ج1، ص.501)، و»يُقال: إن أجلد الإبل وأصبرها الحُمرُ» (الأصمعي، 2003، ص. 129)، وقد ورد لفظ الأحمر ومرادفاته في الشعر العربي القديم دالا على الإبل في سياقات متعددة، فمن ما جاء في سياق التحذير قول شاعرٍ من بْني تميمٍ كَانَ أسيرًا، فكتب إِلَى قومه يحذرهم من الأعداء الغزاة عليهم، بني بكر:

خلوا على الناقة الحمراء أرحلكم

والبازل الأصهب المعقول فاصطنعوا

لقد جاء اللون الأحمر هنا في وصف الناقة كناية عن الارتحال من المكان، أو إشارة إليه، فالشاعر يعني بقوله: (الناقة الحمراء) الدهناء؛ أي الصحراء؛ لأنه يريد هنا تحذير قومه من غزو العدو لهم، وحثّهم على مغادرة المكان، والارتحال، وكأنه يقول لهم: ارتحلوا عن الدّهناء أو السهل، واركبوا الصّمّان، وهو الجمل الأصهب، أي والجأوا إلى الجبال مخافة الغارات.

ثم يمكن القول بأن وصف الناقة باللون الأحمر ومرادفاته كالأصهب والكميت والورد والجرشية...إلخ، فيه دلالة على نفاستها، وعِظمها، وقوتها، ولهذا يوظف الشعراء اللون الأحمر في وصف الناقة التي تُشارك في الحروب بنقل المقاتلين، وأسلحتهم، وأدواتهم الحربية، حيث قاتل عليها العربي منذ الجاهلية في كل حروبه؛ وذلك للدلالة على قدرتها على الصبر والتحمل في مواطن القتال والمعارك الطوال، وغيرها كالسفر الطويل في الدروب الوعرة، وهي دلالات يمتاز بها اللون (الأصهب والحمراء) في البيت التالي لعمرو بن كلثوم، وهي بذلك تتحمل تكرار الكرّ والفرّ, وطول الطريق التي تقدح شررًا تحت حوافرها بدلالة لفظي (وردا أو كميتا), وذلك في قوله: (ابن كلثوم، د.ت، ص. 24)

إذا جاءت لهم تسعـــون ألفـــا

عوابسهـــــن وردا أو كميتـــا

ونحو ذلك وُظِّفَ اللونُ الأحمر في وصف الإبل العظام التي تستطيع قطع المسافات الطوال، وتجاوز الدروب الوعرة، وذلك في سياق الفخر والهجاء، كما في قول طرفة بن العبد يهجو بني المنذر بن عمرو، ويتباهى بقومه: (ابن العبد، 2000، ص.123)

جَمَادٌ بها البَسْباسُ تَرْهُصُ مَعْزُهَا

بَناتِ اللّبُونِ والسَّلاقمةَ الحُمْرَا

فقد جاء اللون الأحمر هنا وصفًا للإبل الكبيرة العظام، التي تقطع الأرض اليابسة والوعرة والخشنة، ولعظمها، ولما تتميز به من قوة، وعظم في الجسم، إذا ما رفعت رجلها من تلك الأرض فإنه يندى خفها، ومكانه فيظهر الماء. (ابن العبد، 2000). إضافة إلى ما للون الأحمر من إثارة في ذهن الرائي، ونفسيته لشدة مظهره، وقوة بروزه، ولذا فقد يكون هنا رمزًا للقوة والبروز، والشدة.

ويصف الشماخ ناقة له حمراء، عليها الميرة فهي تتقدم الإبل، وينفتح ما عليها؛ لسرعتها فتسقط الغربان على أحمالها، فكأنها عرضت للغربان ميرتهم (ابن فارس، 1979)، وذلك في قوله: (الغطفاني، 1994، ص.137)

حَمْـــرَاء من معرضـــات الْغِرْبَان

يقدمها كـــل علاة عليـــان

إن اللون الأحمر هنا قد جاء علامةً رمزية، ووصفًا خاصًّا للنوق الحمر الحاملة التمر على ظهرها، والتي تتقدم الإبل الأخرى بمسافة، فتسقط عليه الغربان، وتأكل من حملها من دون أن تخشى

شيئًا، وهذه النوق تسمى (معرضات الغربان)؛ أي حاملة هدايا الغربان، في إشارة إلى أن مهمة هذه النوق الحمر دون غيرها هي أن تحمل التمر، وتتقدم الإبل الأخرى؛ ليأكل منه الغربان دون خوف.

غير أننا وجدنا تأبط شرًّا يرى أن الناقة الحمراء تحمل طابع شُؤمٍ، فيذمها؛ ذلك لأنه قتل صاحبها، ثم ركبها، فسارت به مسرعة إلى أن كادت تصل حي صاحبها المقتول؛ ما جعله يرمي بنفسه من فوق تلك الناقة، فانكسرت رجله؛ خوفًا من أن يقع بين أيدي أهل المقتول، فسيكتشف أمره، ويقتلونه، فكانت بذلك شؤمًا عليه. إذ يقول في ذلك: (تأبط شرًّا، 2003، ص.16)

ويا رِكْبَـةَ الحمـــراء شرَّة رِكْبَـــةٍ

وكادت تكون شرَّ ركبــة راكبِ

كان اللون الأحمر في هذا البيت هو المثير لذهن الشاعر تأبط شرًّا، فوصف به الناقة، فقال: (الحمراء)، ونعت رِكبته عليها بشر ركبة راكبٍ؛ لكونها كانت ستؤدي به إلى الهلاك.

وقد وصف مزرد بن ضرار الذبياني لون ناقته البيضاء، وتحوله إلى اللون الأحمر، حين سمنت، وسقطت أوبارها بالمجاسد، وهي الأثواب البيضاء التي صبغت، بلون الزعفران، بالمغرة اللينة الحمراء (اليحيى، 2007، ص. 87)، وذلك في قوله: (الضبي، د.ت، ص. 77)

هجـــانا وحُمْراً مُعْطَرَات كـأَنَّها

حَصَى مُغْرَةٍ أَلْوَانُهَا كَالْمَجَاسِـــدِ

إن حضور اللونين الأبيض والأحمر في هذا البيت فيه دلالة على زيادة مكانة الإبل في نفسية العربي، والاهتمام والعناية بها، حتى وصلت إلى درجة السمنة. إضافة على تنوع جمال الإبل ونقائها؛ مما يعكس ثراء الشاعر بإبله.

ويطلق القتال الكلابي لفظ الهجان للإبل عامة بألوانها المتعددة، مفضلًا اللون الأحمر على بقية الألوان، وذلك في معرض فخره بذاته، ونسبه، وبآبائه الكرام، فيقول: (الكلابي، 1989، ص.64)

وَرِثنا أَبانا حُمرَةَ اللَونِ عامِـــــراً

وَلا لَونُ أَدنى لِلهِجانِ مِنَ الحُمرِ

ويُقال للناقة الحمراء ناقة جرشية، وقد ورد ذكرها في شعر بشر بن أبي خازم في سياق بكائه على الأحبة الذين ترحلوا عنه، وفارقوه، وذلك في قوله: (بن أبي خازم، 1972، ص.13، 14)

تحدُّرَ ماءِ الْبِئْرِ عَن جُرَشِيَّـــــةٍ

على جِرْبةٍ تعلو الديارَ غروبُها

فوصف الشاعر بشر بن أبي خازم الناقة الساقية بالناقة الجرشية (الحمراء)، مشبهًا تدفق دموعه كتدفق ماء البئر عن دلو عظيمة، تحمله ناقة جرشية عند غروب الشمس إلى الديار؛ مما يعطي صورة جمالية للناقة الحمراء الجرشية وهي تتحرك، مع صورة غروب الشمس، ووقته، وهو وقت هادئ، وجميل في الصحراء، وهذا الظهور للناقة عند الغروب يعكس جمال المشهد اللوني، وارتباطه بالطبيعة والحياة اليومية.

وفي قول الشاعر الجاهلي محرز بن المكعبر، كما أورده الجاحظ في كتابه البرصان والعميان: (1410، ص.281)

وجئتم بها مدمومـــــةً جُرَشِيَّةً

تكادُ مِن الدَّمِّ المبـــيّن تظلعُ

وُصِفت الإبل في سياق حديث الشاعر محرز المكعبر عن الحرب بمدمومة جرشية، في إشارة على شدة القتال، وكثرة جراحها، وتلطخها بالدماء، إضافة إلى لونها الأحمر (جرشية)، وفي ذلك إشارة إلى أنها عادت، و»قد امتلأت دمًا وأثقلها ذلك». (الجاحظ، 1410، ص.281)

ويمتزج اللون الأحمر (جرشية) مع الأسود (مَقْطُورَةٌ): أي مطلية بالقطران في وصف لبيد بن ربيعة العامري ناقته، الطاعنة في السن، والضخمة ذات اللحم الكثير، وهذا التمازج اللوني يعكس جمالية الصورة اللونية للناقة؛ مما يخلي في نفسية الرائي لها انطباعًا خاصًّا، وإعجابًا ودهشة، وذلك في قوله: (العامري، 2004، ص. 100)

فصرَفْتُ قَصْراً، والشؤونُ كأنَّها

غَـرْبٌ تَحُثُّ به القَلوصُ هزيمُ

بَكَرَتْ به جُرْشِيَّةٌ مَقْطُـــورَةٌ

تَرْوي المحاجِـــرَ بازِلٌ عُلْـكُومُ

ويخالط اللون الأحمر للناقة عند بشر بن أبي خازم اللون الأسود، فهي حينئذٍ (كُمَيْتٌ)، في سياق وصفه لها، فهي مكتنزة اللحم صلبة، منسوبة إلى قبيلة حمير اليمنية، وهي سريعة النجاء، خفيفة، تطاير الحصى برجليها، من شدة سرعتها، وصلابة منسمها، لأنها ألفت الأسفار؛ ولهذا فالناقة هنا تبدو كأنها وسيلة لتخليص الشاعر من جميع همومه، وأحزانه، إذ يقول: (ابن أبي خازم، 1972، ص.137)

كُمَيتٍ كِنـــازِ اللَحمِ أَو حِمْيَرِيَّـــةٍ

مُواشِكَةٍ تَنفي الحَصى بِمُلَثَّـمِ

كَأَنَّ عَلى إِنسـائِهِ عِذقَ خَصـــبَةٍ

تَدَلَّى مِنَ الكافـورِ غَيرَ مُكَمَّمِ

ونحو ذلك قول أوس بن حجر: (ابن حجر, 1979، ص81)

كميت عصاها النَّقْرُ صادقة السُّرى

إذا قيـــلَ لِلْحَيرَانِ أَيْنَ تُخَـالِفُ

ويقال بعير أكلف إذا كان شديد الحمرة يخلط حمرته سواد ليس بخالص، وقد جاء ذلك في سياق مدح الشاعر علقمة الفحل لخصال ومزايا فرسه، وإبله في الأسفار، حيث جعل الجمل الفحل (الأكلف) المجرَّب، عظيم الخُفِّ، يتقدمها؛ ليكون دليلًا لها، إذ يقول: (الفحل، 1996، ص61)

يَهْدِي بِها أَكْلَفُ الخَدَّيْنِ مُخْتَبَرٌ

مِنَ الجِمَالِ كَثِيرُ اللَّحْـــم عَيْثُومُ

فالفحل الأكلف، هنا قد وُصِفَ بأنه ليس أي نوع من الجِمال بل هو متميزٌ بلونه، وبفخامة وعظمة جسده، وارتفاعه، وبأنه مُخْتبرٌ في القيادة، ولذا شُبه بالفيل؛ للدلالة على عِظمه.

ويقول طرفة بن العبد: (ابن العبد، 2000، ص.30)

تَرِيْعُ إِلَى صَوْتِ المِهِيْبِ وتَتَّقِي

بِذِي خُصَلٍ رَوْعَاتِ أَكْلَفَ مُلْبِدِ

فقد جاء اللفظ اللوني (أكلف) هنا وصفًا لموصوف محذوف هو (الفحل) الذي يشوب حمرته سوادٌ ليس بناصع، والذي يضرب بذنبه من الهياج على ظهره، وقد بال عليه وثلط، فتلبَّد على ظهره هذا الثلط، وقد وُصِفَ بهذا ليثبت أنه في خصب هذا الفحل إذا ما أتى الناقة اللاقح، فراعها أو أفزعها بهديره، فإنها تتقيه بذنبها، وتدفعه عنها؛ لتريه أنها لاقح، فلفظ (اتقاؤها) كناية عن قوتها؛ تجاه ذلك الفحل الأكلف الملبد. (ابن العبد، 2000، ص.31).

ويأتي اللفظ اللوني (أجأى- كميت)، الدال على الإبل الذي خالط حمرته سوادٌ في سياق معرض فخر الشاعر ذي الرمة بذاته، من خلال وصف ناقته أو بعيره في عظم شكله وهيئته ضخامةً وارتفاعًا، التي يقطع بها الفيافي، لسرعته، وقدرته على الصبر والتحمل، وذلك في قوله: (ذو الرمة، 1982، ص.1101)

على كل أجأى أو كميت كأنه

منيف الذرى من هضب ثهلان فارد

وفي سياق المدح تأتي جمالية اللفظ (أجأى) أيضًا عند رؤبة بن العجاج؛ لما يبعثه في ذهن المتلقي أو السامع من معاني الهيبة والإجلال، والعظمة، وهي المعاني التي يتصف بها الممدوح بلال بن أبي بردة من وجهة نظر المادح/ الشاعر، ويريد إيصالها إلى المتلقي إذ يقول راجزًا: (ابن العجاج، 2010، ص.522)

يَا ابْنَ قُرُومٍ لَسْنَ بِالأَخْفَاضِ

من كل أجأى معذم عضاضِ

وإذا كان لون الإبل الحُمر يميل إلى الغبرة فيقال لها: إبل حُورٌ، يقول ابن منظور (1414): «قال ابن السكيت: الحور الإبل الحمر إلى الغبرة، رقيقات الجلود، طوال الأوبار، لها شعر ينفذ، ووبرها أطول من سائر الوبر». (ج4، ص.263)، ويكون «في جلودها رقة، وقد عدت من الجمال الرقيقة الحسنة» (علي، 2001، ص.10).

وقد جاء وصفها بذلك اللون في سياق الفخر بجمال لونها، وبسرعتها وقوتها؛ فهي قادرة على الحركة بسرعة حتى في أصعب الظروف، كما في قول تميم بن أبي مقبل: (ابن مقبل، 1998، ص. 61).

ملحٌ إِذَا الحُوْرُ اللَّهَامِيمُ هَرْوَلَتْ

تَوَثَّبَ أَوْسَاطَ الْجِبَارِ عَلَى الْفَتْرِ

وفي سياق المدح يأتي لفظ (الحور) للإبل مع وصفها بالجراجير أي الكرام في قول يزيد بن ضبة الثقفي:

كريم يهبُ البُزلَ مع الحور الجراجير

ويقال بعير أرمك، وناقة رمكاء، يقول الأصمعي (2003):» إذا اشتدت كمتة البعير حتى يدخلها سواد فتلك الرمكة، وكل لون يخالط غبرته سواد، فهو أرمك، والناقة رمكاء»، ووقد جاء وصفها بذلك اللون في سياق الفخر قول لبيد بن ربيعة العامري: (العامري، 2004، ص.71)

وحَطَّ وُحُوشَ صاحَةَ من ذُراها

كأنَّ وُعُولَها رُمْكُ الجِمَالِ

وقد عدت الإبل الرمكاء، من أبهى إبل العرب؛ لجمالها، وقد قيل إجمالًا عن الإبل الحمراء أنها كانت خير الإبل، وأجلدها عندهم؛ لأنها أصبر من غيرها على الهواجر، وقد كانت العرب تفتخر بعدد ما عندها من الجمال الحُمر؛ لغلاء ثمنها بالنسبة إلى الجمال الأخرى. (علي، 2001، ص.10).

3. اللون الأسود، ومرادفاته، وما خالطه من لون آخر:

ذُكرَ اللون الأسود في الشعر العربي القديم وصفًا للإبل السُّود؛ ليحمل دلالات متعددة، منها الدلالة على الغنى والوفرة، وعلى غزارة ووفرة ألبانها، ونجابتها عند العرب كما في قول عنترة بن شداد: (ابن شداد، 1983، ص. 193)

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً

سودًا كخافيةِ الغرابِ الأسحمِ

فعنترة يخبر في هذا البيت بأن حمولة أهل محبوبته تتألف من اثنتين وأربعين ناقة سوداء غزيرة اللبن، وقوية، وذكرَ النوق السود؛ لأنها أنفس الإبل وأعزّها عند العرب؛ إذ «يُقال: إن السود من الإبل أكثرها شربًا, وأغزرها ألبانًا» (المعري، 2008، ص.206)، و»إنما ذكر أن في إبلهم هذا العدد من الحلوبة السود؛ ليخبر عن كثرتهم، وكثرة إبلهم؛ لأنه إذا شرط أن فيها هذا العدد، من هذا الصنف على غرابته، وقلته، فغيره من أصناف الإبل أكثر من يحصى عدده» (ابن شداد، 1983، ص.194)، ولبيان مقدار سواد هذه النوق شبّهها بخافية الغراب الأسحم، أي أواخر الريش من الجناح مما يلي الظهر؛ لأنها أسبط، وأشد بريقًا وألين، ولذا فالغرض من هذا التشبيه بيان مقدار حال المشبّه (النوق السود)، والزيادة في

التأكيد على جمالية لونها الأسود.

ومن الألفاظ اللونية الدالة على النوق السُّود، لفظ (الدَّجُوجِيُّ)، وقد ذُكر في سياق فخر الراجز أبي نخيلة بإبله، وعظمها، وتنوع ألوانها، وذلك في قوله: (الجاحظ، 1424، ج3، ص.65)

سرتُ من الباب فطار الدكدك

مِنْهَا الدَّجُوجِيُّ وَمِنْهَا الأَزْمَكُ

كالّليـــــــل إلّا أنّهاتحـــــرّك

و كانت العرب تسمّي الناقة السوداء: الشامة، وجمعها شام وشِيْم وشُوم، وقيل: إن العرب تسمي الإبل السُّود إذا اجتمعت: اللَّآبَةُ! أما الإبل البيض فتُسمّى الحِضار، ويستشهدون بقول أبي ذُؤيب الهذلي: (الهذلي، 2014، ص.65)

فَمَا تُشْتَرَى إِلَّا بِرِبْحٍ، سِباؤُها

بَناتُ المِخاض: شُومُها وحِضارُها

يصف الشاعر بنات المخاض من النوق السود بلفظ (شومها) إلى جانب النوق البيض (الحضار) في سياق حديثه عن الخَمْر المعتقة؛ وقيمتها العالية، لقدمها، وجودتها؛ ولذا فإنه لا يُعادلها في القيمة والجودة والمكانة إلا بنات المخاض؛ وذلك للدلالة على أن (بَنات المِخاض) سواء أكانت بيضاء أم سوداء إلا إنها ذات قيمة عالية في نفس العربي؛ ولكونها لا تُشترى إلا بربح وفير؛ وذلك بسبب جمالها، وقوتها التي تتجلى في ألوانها (الشيم: اللون الأسود)، و(الحِضار: اللون الأبيض)؛ فإنها الوحيدة التي يمكن أن يُشترى بها تلك الخمرة المعتقة، ولذا نكرر ما سبق ذكره عند الحديث عن اللون الأبيض، وهو إن اللون الأبيض أو الأسود لم يكن هنا لمجرد الوصف الظاهري، بل أنهما يحملان دلالات ثقافية عميقة تُعلي من شأن هذه الإبل، وقيمتها، وتجعلها مرغوبة فيكثر طلبها من أي شخص؛ كشأن تلك الخمرة المعتقة.

ومن الصفات المعنوية في الإبل ذات اللون الأسود، –كما تقدم ذكره– أنه قيل: إنها أكثر الإبل شربًا, وأغزرها ألبانًا. من ذلك ما جاء في قول الراجز: (المعري، 2008، ص. 206).

قد كنت متاحًا على زرودا

وكنت أروي مئتين ســـودًا

فاليـــوم لا أترك أن أذودا

ويقال بعير أَوْرَقُ، وناقة ورقاء إذا كَانَ أَسْوَدَ يُخَالِطُ سَوَادَهُ بَيَاض كَدُخَانِ الرِّمْثِ فَهُوَ أَوْرَقُ. يقول الشاعر ابن ميادة في خاطبته يزيد بن الوليد: (ابن ميادة، 1982، ص.109)

أَلَمْ يَبْلُغكَ أَنَّ الحَيَّ كَلـــــب

أَرادوا في عَطِيَّتِـكَ إِرتـــــدادا

وَقالوا إِنَّما صُهـــــبٌ وَوُرقٌ

وَقَـد أَعطَيتَها دُهمـــاً جِعـــادا

لقد استخدم الشاعر في بنية البيت الثاني ثلاثة ألفاظ لونية، في وصف الإبل: (صهبٌ، وورقٌ، دهمًا)، وهي ألوان متقاربة، ناتجة عن لونين، هما: البياض والسواد؛ مما خلقت بحروف كلماتها، ودلالاتها اللغوية في نفسية المتلقي صورة جمالية بصرية مميزة؛ إذ إنه «لا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في النظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة». (الخريشة، 1423، ص.855).

ويوظف الشاعر أبو ذؤيب الهذلي لفظ (الدُّه) الدال على الإبل السَّوداء في سياق حديثه عن رحيل المحبوبة، وابتعادها عنه، وتصويره لصوت البرق والمطر بحنين الإبل التي فقدتْ أولادها بموت أو ذبح، مظهرًا خوفه وقلقه، وذلك في قوله: (الهذلي، 2014، ص.101)

أَمِنكَ البَرقُ أَوْمَضَ ثم هَاجَا

فِبِتُّ إِخالُهُ دُهمًا خَلاجا

فاللون الأسود الدال عليه لفظ (دُهمًا خَلاجا) في البيت يعبر عن ازدياد الحالة الشعورية التي تسيطر على الشاعر؛ خوفًا وقلقًا؛ لابتعاد محبوبته عنه؛ وتركه وحيدًا يعاني الشوق والحنين والغربة والاضطراب النفسي والوجداني، وسوداوية العيش من دونها. ولهذا فالشاعر يعبر عن حالة البرق القادم من جهة محبوبته، إذ يرتقب ذلك البرق الذي أتعبه في تحديد جهته، ومتعجبا متحيرًا أن يكون من جهة المحبوبة، لذا صور السحاب المكون للبرق، بالإبل الدهم، في إشارة إلى حالته النفسية المتأزمة، المضطربة الجزعة.

ويأتي اللفظ اللوني الأسود؛ ليحمل معنى الخير والأمل، والإحساس بالخصوبة؛ في سياق وصف السُّحب المحملة ماءً، التي تشبه في سرعتها الإبل الدُّهم العشار (الحوامل)، وذلك في قول الشاعر حميد بن ثور الهلالي: (الهلالي، 2010، ص.308)

كَأَنَّ الرَّبابَ الدُّهمَ في سَرَعانِهِ

عِشارٌ مِن الكَلبيةِ الجونِ ظُلَّعُ

يبرز اللون الأسود ودلالته على الخير والبركة، في تشبيه الشاعر السحاب الأسود (الرباب الدُّه) الذي يحمل في ثناياه ماءً غزيرًا، في الهيئة وسرعة الحركة كأنه نوق سوداء لبني كلب؛ لأنه قيل في إبل كلبٍ أنها نوقٌ تشبه السحاب (الهلالي، 2010، ص. 308)، وقد مضى على حملها عشرة أشهر حتى صارت عشاراً، ولثقل حملها، فهي تغمز وتعرج في مشيتها فتميل، وهنا تظهر براعة الشاعر في التقاط أوجه التشابه بين طرفي الصورة الفنية: الإبل الحوامل والسحاب الحامل للماء؛ إذ لا يقتصر التشابه على الهيئة فحسب، بل يمتد إلى اللون الأسود الذي يوحّد بينهما، وإلى الحركة السريعة التي تزيد من قوة هذا التشبيه، وهكذا، يلتقي الطرفان في ثلاثة أوجه رئيسة: الهيئة، واللون، والحركة؛ مما يعكس قوة الصورة الشعرية، ودقة الشاعر في إدراك تفاصيلها. (رضوان، 2003، ص. 182).

ويأتي لفظ (الده) عند الشاعر ذي الرمة حامِلا معنى الخير والأمل أيضًا، في سياق وصفه للسُّحب والرعد، والبرق، والسُّحب؛

وذلك في قوله: (ذو الرمة، 1982، ص. 1256)

يُضيءُ رَبابًا كَدُهْمِ المِحَـــــا

ضِ جُلِّلْنَ فوق الولايا الوليحا

كَـــــأَنَّ مصاعيبَ زُبَّ الرُّؤُوْ

سِ في دارِ صِرْمٍ تُلاقي مُريحـا

تُشكل صورة الإبل الحوامل ذوات اللون الأسود (الدُّه) صورة لونية بصرية، للتعبير عن مشهد تراكم السُّحُب المحملة بالماء في ليلة مظلمة؛ لشدة سوادها، والتي يُظهرها لمعان البروق، وتلاحمها، بتلك الإبل الحوامل، التي تحمل أعدالًا فوق ظهرها؛ مما يدل على أن اللون الأسود هنا قد جاء رمزًا للخير والأمل، والبُشرى، والعطاء، والنماء، والارتواء والخُضرة والري للإنسان والحيوان.

ويرمز اللون الأسود إلى الخوف والقلق، والاضطراب النفسي للشخصية الشاعرة، ونلمح ذلك في وصف أمية بن أبي عائذ الإبل (الده) بالليل؛ لسوادها، في قوله: (السكري، د. ت، ج2، ص. 512)

وَلَيْلاً كَـــأَنَّ أَفَانِينَـــهُ صَـــرَا

صِـــرُ جُلِّلْنَ دُهْـــمَ المِظَالِي

يشبه الشاعر الإبل الصَّرْصَرانية بالليل لشدة سواده، وما يثيره من خوف وقلق في نفس الإنسان، «فاللون الأسود يرتبط عند العرب بالظلام، وعدم وضوح الرؤية؛ مما جعلهم يخافون منه، ويعدونه رمزاً للغدر والخيانة، ولون المجهول من الجن والغيلان» (أبو عون، 2003، ص. 60، 61)؛ وكأن الشاعر في هذا البيت يريد أن يفصح للمتلقي عن حالته الشعورية، وبأنه في خوف وقلق دائمين من المستقبل المجهول الذي سيواجهه.

ومن ألفاظ اللون الأسود في الإبل إن اشْتَدَّ سَوَادُها فَيقال لها: جُوْنٌ، والجون ألأم الإبل لونًا، وقد جاء ذلك في سياق مدح الشاعر علقمة الفحل لخصال ومزايا فرسه، وإبله في الأسفار، حيث جعلها تتبع النوق الشديدة السواد؛ لتأكل من ألبانها، إذ يقول: (الفحل، 1996، ص.60)

يَتْبَعُ جُوناً إِذَا ما هُيِّجَتْ زَجِلَتْ

كَأَنَّ دُفًّا على العَلْيَـــاءِ مَهْـزُومُ

ومن الألفاظ اللونية الدالة على الإبل السود (الأصفر)، والعربُ تجعلُ الصُّفْرَةَ سوادًا، وإنما يكونُ ذلك في نُعوت الإبل دون غيرها (الصُحاري، 1999، ج1، ص.14)، وقد جاء ذلك الوصف اللوني (صفرٌ) للإبل السود، التي يُسار عليها (تلك ركابي)، كما في مقدمة قصيدة الأعشى التي يمدح فيها قيس بن معديكرب: (الأعشى، د.ت، ص.335)

تِلْكَ خَيْلِي مِنْـــهُ، وَتِلْكَ رِكَابِي

هُنَّ صُفْـــرٌ أولادُهَا كالزَّبيبِ

وتظهر جمالية اللون الأسود (صفر) للإبل، في تشبيه أولادها –وفي رواية ألوانها– بالزبيب الأسود وفق السياق، «والواقع أن الزبيب ليس أسود، ولكن لونه خليط من الأصفر والأحمر والأسود»(الأعشى، د.ت، ص. 335)، وإذا كان كذلك فإن هذا التمازج في الصورة اللونية أعطى للمشهد وللون الأسود جماليته الخاصة.

وفي قول آخر: (الصُحاري، 1999، ج1، ص.14)

وَصَفْـــرَاءُ لَيْسَـــتْ بِمُصَفَّـــرَةٍ

وَلَكِـــنْ سَـــوْدَاءُ مِثْـــلَ الْحُمَمْ

فاللون الأصفر في البيتين السابقين هو نعت للإبل السُّود الشديد السواد؛ لأنّ السُّودَ من الإبل يشوب سوادَها صُفْرَةٌ، يؤكد ذلك ما ذكره الصحاري (1999) عن الفراء في قوله: «الصفر سود الإبل، لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة، لذلك سمت العرب سود الإبل صفرًا». (ج1، ص.15)

ومن ألفاظ اللون الأسود في الإبل إن خالط سواد البعير حمرةٌ أو غبرة؛ كأنه قَدْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ لونُه؛ فيقال له: أشكل، والأَشْكَل عِنْدَ الْعَرَبِ: اللَّوْنَانِ الْمُخْتَلِطَانِ (ابن منظور، 1414، ج11، ص. 357)، وقد جاء وصفًا للبعير كما في قول أبي النجم العجلي في أرجوزته: (أبو النجم العجلي، 2006)

مِنْهُ بِعَجْزٍ كَصِفَـــاتِ الْجِيحَـــلِ

كَشَائِطِ الرُّبِّ عَلَيْهِ الْأَشْكَـــلِ

مما تقدم يتضح للباحث أن الألفاظ اللونية التي وُصِفت به الإبل، قد كانت إحدى اللبنات الأساسية لدى الشعراء العرب عند نظمهم لقصائدهم، فقد وظفوها توظيفًا يتلاءم والموضوع أو غرض الشعري. فجاءت في سياقات متعددة، وعكست دلالات وإيحاءات عبرت عن رؤى الشعراء، واهتمامهم بالعنصر الحيواني (الإبل)، الذي كان جزءًا من حياتهم في حلهم وترحالهم.

الخاتمة:

ختامًا، جدير بالباحث أن يذكر أهم ما توصل إليه في دراسته الوصفية التحليلية لألوان الإبل في الشعر العربي القديم، من نتائج أبرزها في ثنايا البحث، والتي كان منها الآتي:

- عناية اللغويين، والأدباء والنقاد العرب القدامى، بالإبل، وألوانها، وبتناولهم لتلك الألوان تعددت أوصاف الإبل، فأسهبوا في ذكرها، فكرروها في كتبهم اللغوية والنقدية القديمة، ونقلوها عن بعضهم، اللاحق عن السابق، نقلاً حرفيًا أحيانًا، وبإضافة بعض الدلالات في أحيان أخرى.
- كان لتلك الألفاظ اللونية التي وصفت بها الإبل دورٌ بارزٌ في السياق الشعري، تمثلت في وظيفتها البنيوية والدلالية والإيحائية، فكشفت تلك الألفاظ عن رؤاهم الفكرية، ووعيهم الجمالي والمعرفي لماهية اللون، وقيمته، ومدى نقائه،

ودرجة تشعبه، وخواصه الفنية والدلالية، فعبروا عن كل ذلك في إطار بيئتهم وواقعهم الاجتماعي والثقافي وغيره.

- جاءت كل الألفاظ اللونية الدالة في وصف الإبل أو النوق لدى الشعراء في سياقات أبيات قصائدهم الشعرية، متعددة الموضوعات؛ كالفخر والمدح والنسيب والغزل، والهجاء، ووصف الرحلة، ووصف السُحب والبرق والمطر...إلخ، فجسّدتْ تلك الألوان في الشعر العربي القديم –عامة– مظهرًا من مظاهر واقعية رؤية الشعراء الجمالية للإبل في عصرهم، واستثمار ذلك في التعبير عن كل ما له علاقة بجمالية تلك الألوان.
- كان اللون الأبيض، ومرادفاته هو الغالب في وصف الإبل، والأكثر حضورًا في الشعر العربي القديم؛ لما يتميز به من جمال لوني واضح، وبراق، يليه اللون الأحمر، ثم الأسود، وقد عبَّر الشعراء بألفاظها ومرادفاتها اللونية عن مدى إعجابهم بجمال إبلهم، ونياقهم، فاستخدموا تلك الألفاظ اللونية الدالة على بياض الإبل، وحمرتها، وسوادها، والألفاظ الناتجة عن اختلاط لون بآخر، أو بأكثر من لون في سياقات موضوعية متعددة في شعرهم، حسب الموضوع والغرض الذي نُظمت فيه القصيدة، مجسدين بذلك مظهرًا من مظاهر واقعية الرؤية الجمالية في عصرهم، وواقعهم.
- حملت تلك الألفاظ اللونية الوصفية للإبل أكثر من دلالة لغوية وفنية، فقد وُظفتْ للدلالة على صفات الجمال والهيبة، والعظمة، والضخامة والقوة والصبر، والنشاط والحركة والسرعة، والقدرة على تجاوز المسافات الطويلة، وجاءت صورًا رمزية أو رامزة إلى الحاجة والمنفعة، وإلى الشجاعة والانتصار في الحروب، وإلى الكرم والعطاء، والجود، وإلى معاني الخير والخصب والنماء والبركة، وإلى النجابة، وإلى الثراء والغنى، وإلى معاني التعب والكفاح، والنجاة والخلاص، وإلى ترجمة العلاقات الحميمة التي تربطها بصاحبها، وإلى معاني الشوق واللقاء العاطفي بين الشاعر ومحبوبته...إلخ؛ كل ذلك من أجل أن يمنح الشاعر تلك الناقة أو الإبل هالةً من التقدير والاحترام، ويضفي عليها عناصر الجمال، والقوة والصلابة.

أهم التوصيات :

- العناية بتوثيق المعجم اللوني للإبل في الشعر العربي القديم، ودراسة تطوره عبر العصور.
- إجراء دراسات مقارنة بين دلالات الألوان في وصف الإبل ودلالاتها في موضوعات شعرية أخرى.

المراجع

إبراهيم، حمد النيل محمد. (2023). أثر الإبل في خيال العرب. *مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية: سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية*، 25 (18)، 43- 60.

ابن أبي خازم، بشر. (1972). الديوان. تحقيق: عزت حسن، (ط2)، وزارة الثقافة.

ابن الأبرص، عبيد. (1414). الديوان. شرح: أحمد أشرف عذرة. دار الكتاب العربي.

ابن الأَجْدَابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد الطرابلسي. (د.ت). كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ في اللغة العربية. تحقيق: السائح علي حسين. طرابلس: دار اقرأ للطباعة والنشر والترجمة.

ابن الحداد، سعيد بن محمد المعافري القرطبي. (1975). كتاب الأفعال. تحقيق: حسين محمد محمد شرف، و مراجعة: محمد مهدي علام. القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (1987). إصلاح المنطق. تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون. القاهرة: دار المعارف.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق. (د.ت). الكنز اللغوي في اللسان العربي. تحقيق: أوغست هفنر، مكتبة المتنبي.

ابن العبد، طرفة. (2000). الديوان: شرح الأعلم الشنتمري، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة. تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، (ط3)، البحرين: إدارة الثقافة والفنون. وبيروت: المؤسسة العربية.

ابن العجاج، رؤبة. (2010). الديوان، دراسة وتحقيق: راضي محمد عيد نواصرة. دار وائل للنشر و التوزيع.

ابن ثابت، حسان الأنصاري. (1994). الديوان، تحقيق: عبدأ مهنا، (ط2)، دار الكتب العلمية.

ابن جزي، عبدالله بن محمد الكلبي. (1986). كتاب الخيل. تحقيق: محمد العربي الخطا بيدار الغرب الإسلامي.

ابن حجر، أوس. (1979). الديوان. تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، (ط3)، دار صادر.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي. (1987). جمهرة اللغة. تحقيق: رمزي منير بعلبكي. دار العلم للملايين.

ابن زهير، كعب. (1997). الديوان. تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (1996). المخصص. تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (2000). المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية.

ابن شداد، عنترة العبسي. (1983). الديوان، محمد سعيد المولوي. بيروت: المكتب الإسلامي.

ابن عباد، الصاحب. (1994). المحيط في اللغة. تحقيق: محمد حسن آل ياسين. عالم الكتب.

ابن فارس، أحمد. (1979). مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.

ابن فارس، أحمد. (1986). مجمل اللغة. دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. (ط2)، مؤسسة الرسالة.

ابن كلثوم، عمرو. (د.ت). الديوان. تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت: دار القلم للطباعة والنشر.

ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني. (1997). صحيح سنن ابن ماجة. تحقيق: ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

ابن مقبل، تميم بن أبي.(1998)، الديوان، شرح: مجيد طراد، دار الجيل.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على. (1414). لسان العرب. تحقيق: اليازجي، وجماعة من اللغويين، (ط3)، بيروت: دار صادر.

ابن ميادة، . (1982). شعر ابن ميادة، جمعه وحققه: حنا جميل حداد، راجعه وأشرف على طباعته: قدري حكيم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني. (1392). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى. (1998). شرح نقائض جرير والفرزدق (برواية اليزيدي عن السكري عن ابن حبيب عنه). تحقيق: محمد إبراهيم حور، و وليد محمود خالص. (ط2)، المجمع الثقافي.

أبو عثمان، سعيد بن منصور بن شعبة. (1982). سنن سعيد بن منصور. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. الدار السلفية.

أبو عون، أمل. (2003). اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي. (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة النجاح.

الأخطل، غياث بن غوث. (1994). الديوان. تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية.

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد. (2001). تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي.

الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (1420)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب. (2003). كتاب الإبل. تحقيق: حاتم صالح الضامن، (ط3)، دار البشائر.

الأعشى، ميمون بن قيس. (د.ت)، الديوان، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت: المطبعة النموذجية.

امرؤ القيس. (د.ت). الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط5)، دار المعارف.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1997). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط4)، مكتبة الخانجي.

البندنيجي، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان. (1976). التقفية في اللغة. تحقيق: خليل إبراهيم العطية. الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي (14): مطبعة العاني.

البونسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري. (2004). كنز الكتاب ومنتخب الآداب. تحقيق: حياة قارة، أبو ظبي: المجمع الثقافي.

تأبط شرًا. (2003). الديوان. دار المعرفة.

التبريزي، الخطيب. (1986). الوافي في علم العروض والقوافي. تحقيق: فخر الدين قباوة. (ط4)، دار الفكر.

الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. (2002)، فقه اللغة وسرّ العربية. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث.

الجاحظ، أبو عثمان. عمرو بن بحر. (1410)، البرصان والعرجان والعميان والحولان، دار الجيل.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (1424)، الحيوان. تحقيق: عبدالسلام هارون. (ط2)، دار الكتب العلمية.

الجاحظ، عمرو بن بحر. (د.ت)، البيان والتبيين. تحقيق: عبدالسلام هارون. دار ومكتبة الهلال.

الجعدي، النابغة. (1998). الديوان. جمعه وحققه وشرحه: واضح الصمد، دار صادر للطباعة والنشر.

الجمحي، محمد بن سلّام بن عبيد الله. (د.ت). طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. دار المدني.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد. (1987). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط4)، دار العلم للملايين.

الحميري، نشوان بن سعيد. (1999). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، وآخرين، دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر.

الخريشة، خلف. (1423). إيقاع اللون الأبيض في شعر بشر بن أبي خازم الأسدي. مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، 15(25). 853 – 882.

الذبياني، النابغة. (د.ت). الديوان. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.

ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي. (1982). الديوان. تحقيق: عبد القدوس أبو صالح. (د.ط)، مؤسسة الإيمان للتوزيع والنشر.

ربابعة، موسى. (1998). جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى. مجلة جرش للبحوث والدراسات، 2(2). 9 – 49.

الرشيدي، عامر سمار. (2010). الصورة الفنية في شعر عبيد بن الأبرص. (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة: عمادة الدراسات العليا.

رضا، أحمد. (1960). معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). دار مكتبة الحياة.

رضوان، ياسر عبدالحسيب. (2003). شعر حميد بن ثور الهلالي – دراسة أسلوبية، (رسالة ماجستير)، جامعة القاهرة: كلية دار العلوم.

الزَّبيدي، محمّد مرتضى. (1965). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: جماعة من المختصين. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الزَّوْزَني، أبو عبد الله حسين بن أحمد بن حسين. (2002). شرح المعلقات السبعدار إحياء التراث العربي.

السبيعي، فارس بن ناصر. (2024). ألفاظ الإبل بين الماضي والحاضر: دراسة في التطور الدلالي. الرياض: مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية.

السكري، الحسن بن الحسين. (د.ت). شرح أشعار الهذليين. تحقيق: عبد الستار فراج، ومحمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة دار العروبة.

السمهودي، نور الدين علي بن أحمد.(1973). وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار إحياء التراث العربي.

الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر العدوي. (1976). الأنوار ومحاسن الأشعار. تحقيق: صالح مهدي العزاوي، منشورات وزارة الإعلام.

الصُّحاري، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي. (1999). الإبانة في اللغة العربية. تحقيق: عبد الكريم خليفة، ونصرت عبد الرحمن، وصلاح جرار، ومحمد حسن عواد، وجاسر أبو صفية. مسقط: وزارة التراث القومي والثقافة.

الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن. (1970). التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الحميد حسن.

الضامن، حاتم صالح. (1990). عشرة شعراء مقلون، وزارة التعليم العالي: جامعة بغداد.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (د.ت). المفضليات. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون, (ط6)، دار المعارف.

العامري، لَبِيد بن ربيعة. (2004). الديوان. اعتنى به: حمدو طمّاس. دار المعرفة.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (د.ت). جمهرة الأمثال. دار الفكر.

علي، جواد. (2001). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ط4)، دار الساقي.

عويضة، محمد نصر الدين محمد. (د.ت). فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب. المكتبة الشاملة: رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: (36375).

الغطفاني، الشماخ بن ضرار الذبياني. (1994)، الديوان. دار الكتاب العربي.

الفاخوري، حنا. (1986). الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب القديمدار الجيل.

الفحل، علقمة بن عبدة. (1996). الديوان. شرحه وعلق عليه وقدم له: سعيد نسيب مكارم، دار صادر للطباعة والنشر.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (د.ت). كتاب العين. تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفرزدق، همام بن غالب. (1987). الديوان. تحقيق: علي فاغور، دار الكتب العلمية.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. (2005). القاموس المحيط. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي. (ط8)، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية.

قتلان، ميساء. (2003). شعر ساعدة بن جؤية الهذلي: دراسة وتحقيق. (رسالة ماجستير)، جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

القلقشندي، أحمد بن علي. (1987). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية.

القيرواني، أبو على الحسن بن رشيق . (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل.

القيسي، توفيق يوسف. (1982). هل سرَّ الجمل في سنامه؟. قطر، الدوحة: *مجلة الأمة*، السنة الثانية، (23). 65 - 70.

كُثير عزة. (1971) الديوان. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الكردي، وائل أحمد. (2024/04/30). الإبل شيء من تكوين وجدان الإنسان العربي، *المجلة العربية*: https://www.arabicmagazine.net/arabic/ArticleDetails.aspx?id=9817#تاريخ الاسترجاع: 5/رمضان 1446هـ.

الكلابي، القتال. (1989). الديوان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة.

الماضي. فوزان بن حمد. (2017). الإبل أسماؤها أوصافها طباعها. دارة الملك عبد العزيز.

المحاسنة، علي أرشيد. (2001). جعفر بن عُلبة الحارثي: أخباره وما تبقّى من شعره. الآداب: *مجلة جامعة الملك سعود*، 13(2)، 246 - 286.

المعافري، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الأشبيلي. (2007). المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك. قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني. دار الغَرب الإسلامي.

المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله. (2008). كتاب اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي. تحقيق: محمد سعيد المولوي. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

النميري، الراعي. (1980). الديوان. تحقيق: راينهرت فايبرت. المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

الهذلي، أبو ذؤيب. (2014). الديوان. تحقيق وشرح: أحمد خليل الشال. مركز الدراسات والبحوث الإسلامية.

اليحيى، حنا نصر. (2007). الناقة في الشعر الجاهلي. دار الكتب العلمية.

Ibrāhīm, Ḥamad al-Nīl Muḥammad. (2023). Athar al-ibil fī Khayyāl al-‘Arab. (in Arabic), Majallat Jāmi‘at Tishrīn lil-Dirāsāt wa-al-Buḥūth al-‘Ilmīyah : Silsilat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah, 25 (18), 43- 60.

Abū ‘Awn, Amal. (2003). al-lawn wa-ab‘āduhu fī al-shi‘r al-Jāhilī. (Risālat mājistīr ghayr manshūrah) . (in Arabic), Nābulus : Jāmi‘at al-Najāḥ.

Al-Khurayshah, Khalaf. (1423). Īqā‘ al-lawn al-Abyaḍ fī shi‘r Bishr ibn Abī Khāzim al-Asadī. (in Arabic), Majallat Jāmi‘at Umm al-Qurá li-‘Ulūm al-sharī‘ah wa-al-lughah al-‘Arabīyah wa-ādābihā, 15 (25). 853882-.

Rabābi‘ah, Mūsá. (1998). Jamālīyāt al-lawn fī shi‘r Zuhayr ibn Abī Salmá. (in Arabic), Majallat Jarash lil-Buḥūth wa-al-Dirāsāt, 2 (2). 949-.

al-Rashīdī, ‘Āmir Samār. (2010). al-Ṣūrah al-fannīyah fī shi‘r ‘Ubayd ibn al-Abraṣ. (Risālat mājistīr), (in Arabic), Jāmi‘at Mu’tah : ‘Imādat al-Dirāsāt al-‘Ulyā.

Raḍwān, Yāsir ‘bdālḥsyb. (2003). shi‘r Ḥamīd ibn Thawr alhlāly-dirāsah uslūbīyah, (Risālat mājistīr) , (in Arabic), Jāmi‘at al-Qāhirah : Kullīyat Dār al-‘Ulūm.

Qatlān, Maysā’. (2003). shi‘r Sā‘idah ibn j’yh al-Hudhalī : dirāsah wa-taḥqīq. (Risālat mājistīr), (in Arabic), Jāmi‘at Dimashq : Kullīyat al-Ādāb wa-al-‘Ulūm al-Insānīyah.

Al- Qays, Tawfīq Yūsuf. (1982). Hal srra al-Jamal fī snāmh? (in Arabic). Qaṭar, al-Dawḥah : Majallat al-ummah, al-Sunnah al-thāniyah, (23). 34- 37.

Al-Kurdī, Wā’il Aḥmad. (302024/24/). al-ibil Shay’ min takwīn Wijdān al-insān al-‘Arabī, al-Majallah al-‘Arabī : https://www.arabicmagazine.net/arabic/ArticleDetails.aspx?id=9817# Tārīkh alāstrjā‘ : 5 / Ramaḍān 1446h. (in Arabic),

Al-Maḥāsinah, ‘Alī Arshīd. (2001). Ja‘far ibn ‘ulbh al-Ḥārithī : akhbāruh wa-mā tbqqá min shi‘rih. (in Arabic), al-Ādāb : Majallat Jāmi‘at al-Malik Sa‘ūd, 13 (2), 246-286.

Journal of Human Sciences
At Hail University

جامعة حائل
University of Ha'il

Journal of Human Sciences

A Scientific Refereed Journal Published by University of Hail

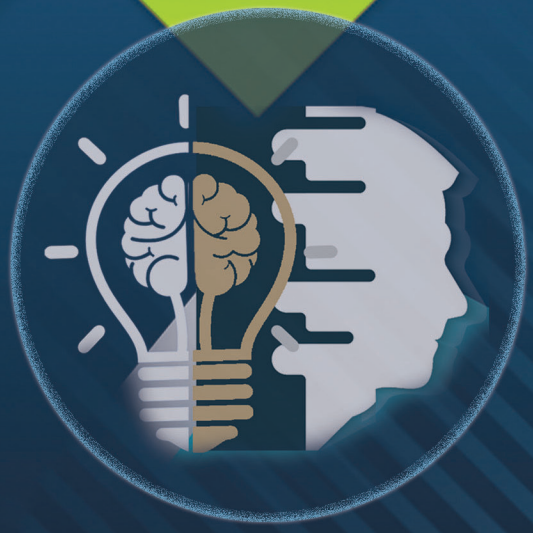

Ninth year, Issue 29
Volume 3, March 2026

Arcif Analytics

Print ISSN:1658-788X
Online E-ISSN:1658-8819